أ.د. عبدالجبار عبدالواحد العبيدي

دراسات في الفكر الاسلامي والاستشراق

مكتب مرمر للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد/ العراق / الاعظمية ـ شارع الشباب
قرب الجامعة رئاسة الجامعة العراقية
٠٧٧٠٤٢٥٠٩٠٧
ط/١
١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا
مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الجاثية: ١٣

الفصل الأول
مباحث في الفكر الاسلامي

المقدمة

الحمد لله الذي رزقنا الإيمان بذاته وصفاته، وأنطق الكون بايات وجوده، وكشف به عن عظيم سلطانه ، خلق الإنسان وشرفه بحمل أمانة العقل ، ليكون الأذن المصغية لما ينطق به الكون من الايات ثم الوعاء الحاوي لما يتجلى فيه من الدلائل والعظات.

فسبحانه من إله عظيم احتجب عن عباده بحجاب عظمته ، وجعل كل شيء ناطقا بوحدانيته ، وقد تقاصرت عن ادراكه الفهوم ، فالتحقق من العجز عن ادراكه يقين ، واعمال العقل لمعرفة ذاته تخيل ووهم يخرج العبد من الدين .

والصلاة والسلام على خاتم الانبياء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، المؤيد بسواطع بيناته ولوامع اياته، بعث بالشريعة العامة للناسخة لما قبلها من الشرائع ، صالحة لكل زمان ومكان ، وافية بمصلحة كل فرد وجماعة من الناس، وعلى اله واصحابه السعداء بصحبته ومحبته

المنورين بادابه وعاداته، واتباعه المحسنين الهداة للخلق الى الحق باثباته .

وبعدُ ...

فإن أصل الدين معرفة الله تبارك وتعالى ، فمن عرف الله تبارك وتعالى وعرف أوامره ، تفانى في طاعة أوامره ، واما من عرف أوامر الله تعالى ولم يعرف الله تبارك وتعالى ، تفنن في التفلت من أوامر الله تعالى .

ولمقتضيات البحث ارتأينا تقسيم هذا الكتاب الموسوم :

(دراسات في الفكر الإسلامي والإستشراق)

واشتمل على : مقدمة ، الفصل الأول: مباحث في الفكر الاسلامي ، وفيه :

تمهيد .. المبحث الأول: المدلول العام للفكر، المبحث الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي وخصائصه وغاياته، المبحث الثالث: مصادر الفكر الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة ، المبحث الرابع: حجية الفكر الإسلامي، المبحث الخامس التجديد في الفكر الإسلامي

اما الفصل الثاني فقد خصص للاستشراق، في ثلاثة مباحث : المبحث الأول: التعريف بمفهوم الأستشراق لغةً وأصطلاحاً، والثاني : نشأة الاستشراق وداوفعه وأهدافه ووسائله، المبحث الثالث: علاقة الاستشراق بالتراث الإسلامي.

ومن ثم : ثبت المصادر والمراجع

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى من الخير والصلاح ، ويجعل اعمالنا نافعة مثابة ، ونياتنا خالصة لوجهه الكريم ، انه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول
مباحث في الفكر الاسلامي

تمهيد

ان قيمة الانسان تبان وتتضح بوجود عقله ، ولولاه لكان حظه الخسران في الدنيا والاخرة ،ذلك لان الانسان لايساوي شيئا ولا يُعبأ به بدون فكر سليم ورويه ...

وهذا ما اقره الاسلام حين رفع التكاليف الشرعية عن الذي لايعقل فقال ﷺ : رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ [1] .

---

[1] **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى: ٣٠٣هـ ،تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ،مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، برقم : ٣٤٣٢ ، ١٥٦/٦** ، وينظر: سنن أبي داوود،، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الازدي السجستاني ت ٢٧٥ ه تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، دار الرسالة العالمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠ ه ، ٢٠٠٩ م ،باب في الغلام حتى يصيب الحد ، رقم الحديث ٣٨٢٥ ٤٨١/١١.

ولما للفكر والتفكير من أهمية بالغة فقد وجه الاسلام خطاباته الى العقل كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [1] ،و قوله ﷻ :﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [2].

وبين تعالى ان التفكير والتذكر يكون لاصحاب العقول كما في قوله سبحانه ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [3] ،وقوله ﷻ ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [4] ، وغيرها من ألآيات الكثيرالتي أعطت الفكر والتفكير هذه الدرجة من الاهمية ، وذلك كون الفكر والتفكير علامة وجود الانسان السوي وطريق اثبات ذاته ، ويمثل طريق هدايته وتعطيله يكون سبب ضلاله.

لذا إن خير ما يكتسبه المرء في حياته ومآله هو العلم الموصل الى معرفة الله تعالى بالذوق الرفيع والبرهان المنيع ، ولا شك ان العلوم بكثرة

---

[1] سورة البقرة من ألآية ١٩٧.
[2] سورة أل عمران ألآيتان ١٩٠-١٩١.
[3] سورة البقرة ألآية ٢٩٦.
[4] سورة الرعد ألآية ١٩.

المعلومات لا نهاية لها ، ولكن التي تستكمل به حياة الانسان وتتوقف عليه نجاته علمان:

الأول: هو العلم النقلي: الذي تتفرع منه العلوم الاسلامية من العقيدة والتفسير والحديث والفقه واصوله ، فهذا العلم هو الذي بعث الله تعالى به الانبياء والمرسلين مما ينال به العبد مرضاة ربه ويستحق جناته

الثاني: العلم العقلي: الذي يمتاز به الإنسان عن أنواع جنسه ، وهو ما اخترعه البشر بطبعه ، ويتفرع هذا العلم الى علوم شتى وأنواع مختلفة.

وتبدو أهمية تحديد المصطلحات والمفاهيم والألفاظ في زيادة الفهم والوضوح من جهة، وتحسن سبل التواصل المعرفي بين المتخاطبين من جهة أخرى، إذ من أهم مقدمات هذا التواصل فهم المصطلحات والمفاهيم، لكونها مفاتيح العلوم والمعارف والأفكار، وذلك لأن المفهوم هو المعنى الذي يحمل إلى الذهن بواسطة مصطلح معين، مما يجعله، من ثم، خزانا لمجموعة من المقولات الأساسية التي توظفها النظرية في خطابها العام والخاص، مع العلم أن الضرورة تقتضي فهم هذه المسألة من زاوية النظر إلى علاقة المفهوم، أو المصطلح، بالواقع والمحيط.

وتزداد أهمية تحديد المفاهيم وا لمصطلحات كلما تنبهت الأمة إلى ضرورة تحديد الأرضية الثقافية والفكرية التي ينبغي الوقوف عليها، وهي تحاول قدر الإمكان استئناف النظر في مداخل النهضة والتقدم، بنقد كل ما من شأنه تعطيل هذا النظر، وكذا النهوض المعاق، بفعل عدة عوامل، لعل

من أبرزها: عدم توفر الأمة على موجبات التكوين العلمي والمعرفي المطلوب، خاصة إذا نظر إلى القضية المطروحة في علاقاتها بعدة مشكلات، تتقدمها مشكلة المثافقة المفاهيمية والاصطلاحية التي برزت بشكل واضح وملح مع بروز الكتابات ذات الطبيعة التغريبية، التي لا ترى المخرج من هذه الوضعية المأساوية للأمة إلا من باب استعارة واقتراض ما عند الآخر من مفاهيم ومصطلحات ومناهج ونظريات، في إطار نقل التجربة العامة الدافعة إلى تحقيق ما نظن أنه سيتحقق وهو "عصر التنوير العربي" قياساً على "عصر التنوير الأوربي"، متناسين قاعدة أساسية في هذا الباب، وهي "أنه لا قياس مع وجود الفارق"، وما أكثر الفوارق بيننا وبين الآخر.

ولعل من أبرز المصطلحات والمفاهيم التي نرى ضرورة إعادة تصحيح الأفهام بخصوصها، مفهوم "الفكر الإسلامي"، لما حمل من تأويلات وتفسيرات، أخرجته من إطاره الصحيح، فضيق مجاله عند البعض، واستغل عند البعض الآخر.

المبحث الأول
المدلول العام للفكر

قبل الحديث عن مفهوم الفكر الإسلامي، نرى ضرورة تحديد مفهوم الفكر في اللغة في مطلب أول، وبعون الله تعالى نتناول مفهوم الفكر اصطلاحاً في مطلب ثان.

المطلب الأول: الفكر في اللغة.

الفكر بفتح الفاء من فعل يفكر فكراً، تقول: فكر في الأمر، أعمال العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول[١]، كما يأتي الفكر بكسر الفاء والمعنى واحد، والفتح فيه أفصح من الكسر[٢]، وقيل: التفكر: التأمل[٣].

وعرفه الفيروز آبادي بقوله: الفكر بالكسر ويفتح، إعمال النظر في الشيء كالفكرة[٤].

ووردت تعريفات للفكر في المعاجم الحديثة والمعاصرة منها:

١_ يقول جميل صليبا: وجملة القول أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر

---

[١] المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، د. ت فالشعر نبى ، ٦٩٨/٢.

[٢] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، دار صادر، بيروت، د.ت ٣٤٥١/٥.

[٣] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجبولوي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، ٢٣٥/٢.

[٤] القاموس المحيط، مجد الدين ابن طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي ت٨١٧ه تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م، مادة فكر ، ٥٨٨/١.

والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس [١]

٢_ وعرف الفكر بأنه أعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، والفكرة الصورة الذهنية لا بردا[٢]

٣_ وأوردت الموسوعة الفلسطينية عدة تعريفات للفكر منها: الفكر هو النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العام الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات، وهو الشرط الجوهري لأي نشاط آخر طالما أن هذا النشاط هو نتيجته المجملة والمكتملة، والكلام هو صورة الفكر[٣].

وقد وردت مشتقات مادة فكر في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعاً[٤]، بصيغة الفعل ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَوَقَدَّرَ﴾.[٥] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.[٦] وقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٧]

---

[١] المعجم الفلسطيني، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م، ١٥٦/٢.

[٢] المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ٦٩٩/٢.

[٣] الموسوعة الفلسطينية، نخبة من الباحثين السوفيات، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة بيروت، ط٦، ١٩٨٧م، ص٣٣٣.

[٤] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية استانبول، تركيا ، مادة فكر ص ٥٢٥.

[٥] سورة المدثر الآية: ١٨.

[٦] سورة الأنعام الآية: ٥٠.

[٧] سورة الحشر الآية: ٢١.

ففي الآية الأولى وردت بصيغة الماضي فكّر ، وفي الثانية وردت بصيغة المضارع المخاطب تتفكّرون ، وفي الثالثة بصيغة المضارع الغائب يتفكّرون .

وردت مادة فكر في القرآن الكريم بصيغة الفعل، والفعل في اللغة العربية يدل على الحدث لذاته وعلى من قام به، وهو هنا المفكر، وقد انتزع بعض الباحثين من ذلك أن الله عز وجل أبان ولفت أنظار عباده: بأن هذا العمل الذهني مرتبط بذات وأنه لا يكون فيما لا طائل تحته[١].

المطلب الثاني: الفكر اصطلاحاً

نظراً لطبيعة المعرفة في البيئة الإسلامية الأولى، ودخول العلماء والمفكرين ميدان استنباط العلوم والمناهج والأدلة، وبروز اشكالات من قبيل ما هو كلامي أو فلسفي في الثقافة المعرفية الإسلامية، كان لهذا المفهوم حضوراً في مجموع السجلات والتأليفات، وإن لم يكن في كثير من الأحيان بصيغة الفكر، وإنما جاء في كثير من المرات بصيغة العقل والتأمل والتدبر والنظر. وفما يلي بعض التعريفات المعطاة لهذا المفهوم:

أ_ أن معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة[٢]. وقد جعل للفكر مرادفاً للتأمل والتدبر.

---

[١] الأزمة الفكرية المعاصرة، د. طه جابر العلواني، الدار العالمية للنشر، الرياض، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٦.

[٢] إحياء علوم الدين، أبو حاد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت٥٠٥ه دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٥٨م، ٤/ ٤٢٥.

ب_ النظر في اصطلاح الموحدين هو الفكر الذي يطلب به من قام به علماً أو غلبة ظن، ثم ينقسم النظر إلى قسمين: إلى الصحيح وإلى الفاسد[١].

ت_ الفكر: هو تلك الحركة والنظر هو الملاحظة التي في ضمنها، وقيل لتلازمهما

أن الفكر والنظر مترادفان [٢].

ث_ اعمال الخاطر بالشيء[٣].

ج_ ترتيب أمور معلومة لتأدي إلى مجهول.[٤]

ح_ قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم وجولات تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يقال إلا فيما يمكن أن يصل له صورة في القلب [٥].

خ_ جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة شاملاً ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية تبلغ أسمى صورها في التحليل والتركيب والتنسيق، وهو بهذا خاصية إنسانية[١].

---

[١] الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابورى ت٤٧٥ه ، تحيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٥.

[٢] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن التهاوني، تحقيق: رفيق العجم، علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ١١٢١/٣.

[٣] لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ٣٤٥١/٥.

[٤] التعريفات، السيد الشريف أبي الحسين علي بن محمد بن على الزين الحسيني الجرصافي ت٨١٦هـ ، دار الكتب العالمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١١٢.

[٥] المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ٦٩٨/٢.

د_ والفكر في المصطلح الفكري _والفلسفي خاصة_ هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري[٢].

ذ_ وعرفه طه جابر العلواني بقوله: "الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من

الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء"[٣].

مما تقدم يلاحظ أن الفكر في الاصطلاح له معنيان، أحدهما خاص والثاني عام، فالمعنى الخاص هو أعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، والمعنى العام يطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية[٤]. وبالنظر في مجموع ما تم تقديمه من تعريفات وغير ذلك مما تركناه تفادياً للتطويل، يستفاد ما يلي:

---

[١] مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني أبو القاسم ت٦٤٣هـ ، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، ٨٣/٢.

[٢] حقيقة الفكر الإسلامي، أبو زيد عبد الرحمن، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ص١٠.

[٣] معالم المنهج الإسلامي، د. محمد عمارة، دار مصر، ط١، د.ت ص٨٧، الأزمة الفكرية المعاصرة، د. طه جابر العلواني، مرجع سابق، ص٢٧.

[٤] تاريخ الفلسفة العربية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م، ١٥٤/٢.

أ- الفكر بمعنى إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعرف بهدف الوصول إلى تحقيق معرفة جديدة.

ب- الفكر بمعنى الثمرة التي تنتج عن عملية التفكير.

ت- أن التفكر عملية عقلية تستخدم فيها كل الوسائل المساعدة للوصول إلى حقيقة الدنيا والآخرة.....

ث- الفكر مرادف للنظر، وهو أعمال العقل في الأمور المختلفة للوصول إلى أمر جديد.

ج- التفكير ثمرته التذكير.

المبحث الثاني
مفهوم الفكر الإسلامي

يعتبر المحدد الإسلامي هنا الضابط الأساسي الذي، بناء عليه، يتحدد معنى مفهوم الفكر الإسلامي، إذ الإسلامية هي الإطار الذي به وعليه وحوله تدور مجموع تأملات ونظرات المفكرين المنتمين إلى المذهبية الإسلامية، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هوية الفكر، أي فكر، وخصوصيته، لا يتم التوصل إليها إلا من خلال النظر في العلاقة المتينة الموجودة بين هذا الفكر والمرجعية التي ينتمي إليها، والتي تمنحه الرؤية وتحدد له نوع المنهج، بل وحتى الأهداف. ومصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة وقد اقتضت طبيعة البحث من الناحية الشكلية تقسيم هذا المبحث على مطلبين: نخصص الأول منه لتعريفات الفكر الإسلامي، ونتناول في الثاني منه خصائص الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: تعريفات الفكر الإسلامي.

لقد أورد كثير من العلماء والباحثين تعريف أو أكثر للفكر الإسلامي، ولعل من أبرز هذه التعريفات ما يأتي:

١ الفكر الإسلامي يعني: كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم في المعارف الكونية بالله عز وجل والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً [١]

٢ الفكر الإسلامي يعني: كل ما ألفه العلماء المسلمون في شتى العلوم الشرعية وغير الشرعية بغض النظر عن الحكم على مدى ارتباط هذا الناتج الفكري بأصل العقيدة الإسلامية [٢]

٣ الفكر الإسلامي: نتاج الفكر الذي تصدى للفلسفات والنظريات الغربية ناقداً لها وواضعاً السبيل الإسلامي محلها [٣]

٤ الفكر الإسلامي: كل نتاج العقل البشري الموافق لمنهج الإسلام [٤]

---

[١] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت د. ط. و.ت ص٣٥، تجديد الفكر الإسلامي، د. محسن عبد المجيد، هيرفون، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩٦م، ص٤١.

[٢] رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، محمد الشاهد، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص٦٢،

[٣] الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي، مصطفى حلمي، دار الدعوة، ط١، ١٩٨٨م، ص٤٦.

[٤] محاضرات في الفكر الإسلامي، د. عقيد خالد العزاوي، د. ياسر خلف الشجيري، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٣.

٥ الفكر الإسلامي يعني: كل ما هو غير تجريبي من مقومات الحضارة الإسلامية سواء أكان تشريعياً أو علم كلام أو ما شابه ذلك [١]

٦ إن الفكر الإسلامي يمثل في الإسلام: الجانب الفكري التصوري البحث الذي يقوم من كل حضارة مقام الخارطة الهندسية المصممة للبناء.....[٢]

٧ الفكر الإسلامي هو: فقه الوحي وفهم رجال هذا الفكر له ثم شروحهم عليه [٣]

٨ الفكر الإسلامي يعني: الحكم على الواقع من وجهة نظر الإسلام [٤]

٩ الفكر الإسلامي يعني: المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكروا به [٥]

١٠ أنه تناج التأمل العقلي عن نظرة الإسلام العامة للوجود، والمتوافق مع قيم الإسلام ومعاييره ومقاصده، فقولنا "نتاج" يبين أن المقصود هو حصيلة التفكير، وقولنا "التأمل العقلي" يشير إلى أنه اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب، وقولنا "المنبثق عن نظرة الإسلام العمة إلى الوجود"، يفيد أنه لابد أن يكون مرتكناً إلى كليات الإسلام الأساسية وصادر عنها،

---

[١] خصائص الفكر الإسلامي، محمد عبد اللطيف الفرفور، دار الأوزاعي، دمشق، د.ت ص٢٩.

[٢] المرجع السابق نفسه.

[٣] المرجع السابق نفسه.

[٤] دراسات في الفكر الإسلامي، محمد حسين عبد الله، دار البيارق، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص١٢ وما بعدها.

[٥] دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، عبد الحميد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٩.

وقولنا المتوافق مع قيم الإسلام ومعاييره ومقاصده احتراز في موضعه لتصحيح ما يمكن أن يقع من خط في التأمل العقلي، فحيثما لا يتوافق نتاج التأمل مع قيم الإسلام، فهذا آية خطئه، ذلك أن الإسلام منظومة متكاملة متناغمة منسجمة، فأي نشاز يأتي به التأمل العقلي، يحتاج إلى إعادة نظر وتقويم وكذلك، لابد من التزام المعايير الإسلامية في فهم النصوص بمراعاة أصول الاستنباط، طبقاً لقواعد العربية ومنطق الشريعة "أصول الفقه" ، وأصول التأويل، وذلك لابد من استحضار المقاصد العامة في الشريعة، التي تحول دون الفهم الحرفي للنصوص، والذي ربما يخالف مقاصد الشريعة الأساسية[١].

الذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني في تفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً[٢].

ففكر المسلمين في ظل الإسلام من أفكار اجتهادية بشرية من الفلسفة والكلام والفقه وأصوله والتصرف والعلوم الإنسانية الأخرى وبهذا فإن كل فكر بشري نتج عن فكر مستقل، ولم ينطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة، القاطعة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامي، لأن قولنا "فكر إسلامي" يعني وصفنا إياه بصفة الإسلامي، وليس من المنطق السليم أن يحسب فكر ما على الإسلام، وهو ليس

---

[١] مصطلح الفكر الإسلامي، أحمد حسن فرحات، بحث ضمن ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية معهد الدراسات المصطلحية، كلية الآداب، ظهر المهراز، ط١، ١٩٩٩م، ٦٩٣/٢.

[٢] الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده، د. محسن عبد الحميد، دار الأنبار، بغداد، ط١، ١٩٨٧م، ص٧، تجديد الفكر الإسلامي، د. محسن عبد الحميد، دار الصحوة، عمان، ١٩٨٥م، ص١٨ وما بعدها.

بإسلامي، بل نصفه بأنه فكر عام لم ينطلق من الإسلام، وإنما انطلق من أديان وعقائد ومناهج أخرى، تقترب من الإسلام حيناً، وتبتعد عنه أحياناً أخرى[١].

وعليه فالفكر الإسلامي هو الذي يفرزه العقل المسلم في ناحية من نواحي الحياة تبعاً للظروف الزمانية والمكانية في مرحلة معينة من المراحل التي تمر بها الأمة الإسلامية، وهو فكر مستنبط اجتهادي يجري في إطار الفهم اللاصوتي لنصوص الكتاب والسنة، والتعرف على مقاصدها لتحقيق مصالح الناس في دينهم وآخرتهم، وعلى ذلك أن الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام نفسه، لأن الإسلام هو وحي إلهي مستقل عن الزمان والمكان، بينما الفكر الإسلامي مرتبط بزمانه وظروفه التي تولده، فالفكر ليس له عصمة الإسلام[٢]، وهو هذه الحصيلة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري فيما يمس عالمنا الواقعي المرسوم بعالم الشهادة ويدفع إلى التأمل والملاحظات والنظر فيما يتعلق بقضايا العقيدة والعبارة والقيم والنزعات والأخلاقيات في الإسلام.[٣]

ومما تقدم من تعريفات نتفق مع ما ذهب إليه البعض[٤] ونلحظ الآتي:

---

[١] حقيقة الفكر الإسلامي، أبو زيد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص١٠.

[٢] محاضرات في الفكر الإسلامي، د. عقيد خالد العزاوي، د. ياسر خلف الشجيري، مرجع سابق، ص١٧.

[٣] الفكر الإسلامي، د. محمد الصادق العفيفي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت ص١٢.

[٤] محاضرات في الفكر الإسلامي، د. عقيد خالد، ياسر خلف الشجيري، مرجع سابق، ص٢٣_٢٧.

١ بأن الفكر إما أن يراد به الكيفية التي يدرك بها الإنسان حقائق الأمور التي أعمل فيها عقله، فيكون الفكر عندئذ بمثابة الأداة أو الآلية في عملية التفكير، وما يلحق بها من طاقات وقوى وملكات عقلية ونفسية، وإما أن يراد به ما نتج عن ذلك من خلال تلك العملية من تصورات وأحكام ورؤى حول القضايا المطروحة، ثم تتسع دائرة مفهوم الفكر أو تضيق تبعاً لمنطلقات المحدد لمفهوم الفكر، فإذا اتسع مفهوم الفكر اشتمل على الموروث الفكري للإنسان في جميع ميادين المعرفة والعلوم على الصعيد النظري، وقد تضيق دائرة مفهوم الفكر حتى تنحصر في مجرد النظر العقلي في أمر ما، فيكون الفكر عندئذ منسوباً إلى مبدأ أو مذهب، أو طائفة أو أمة، أو عصر.

٢ عندما يوصف الفكر بأنه إسلامي، فإن المفهوم يتأثر بالمنطلقات التي جاء بها الإسلام، وهنا قد يراد به كيفية عمل العقل وما يلحق به من القوى المدركة لدى الإنسان في ضوء مبادئ الإسلام، ولذلك عرف الفكر الإسلامي بأنه المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكروا به [١].

وهذا المعنى الكيفي للفكر المتمثل في حركة الذهن للانتقال من المعلوم إلى المجهول لخصه "الجرجاني" بقوله: الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول [٢]

---

[١] دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، عبد الحميد النجار، مرجع سابق، ص٢٩.

[٢] التعريفات، للجرجاني، مصدر سابق، ص١١٢.

٣ وقد يراد بالفكر الإسلامي ما أنتجه الفكر في ضوء الإسلام ثم تختلف المنطلقات والغايات حول تحديد الفكر الإسلامي فبعض ما جاء من تعريفات تطلق مسمى الفكر الإسلامي وتريد به كل ما أنتجه فكر علماء الأمة وباحثيها في ضوء مبادئ الإسلام وأحكامه وضوابطه، وهذه التعريفات لا تدعي العصمة لهذا الفكر ولا يدخل فيه الوحي من كتاب أو سنة، وإنما يدخل فيه ما خرج عنهما أو انبثق منهما، ومن ثم فهي تفرق بين الإسلام وبين الفكر الإسلامي، وتحترز من الخلط بينهما.

وهناك بعض التعريفات التي تتفق مع هذا التعريف في السعة والشمول لكل ما أنتجه الفكر المنسوب للإسلام ويكفي من أن ينتسب أصحابه للإسلام، ويلاحظ على هذا التعريف بأنه لا يتقيد بما تقيد به التعريف السابق من كون الفكر لا يحسب على الإسلام إلا إذا وافق عقيدة الإسلام وشريعته وهديه.

٤ ينفرد بعض التعريفات بالنظر إلى نتاج العقل نظرة موضوعية بغض النظر عن المفكر من وافق الإسلام من تراث الفكر الإسلامي أو أنتجه فكر المسلمين في ضوء الإسلام يسمى فكراً إسلامياً.

وبالنظر لما تقدم يمكن أن نلخص للآتي:

١_ الفكر الإسلامي هو إعمال الطاقات والقوى العقلية والقلبية والتي هي من نعم الله تعالى على الإنسان وفقاً لمنطلقات الإسلام وغاياته في المجالات التي افسحها الشارع لاجتهاد العقل ونظره وما نتج عن ذلك وتقيد بقواعد وضوابط الإسلام الكلية وأحكامه العامة وآدابه وهديه.

٢_ الفكر الإسلامي هو: النظر العقلي والنفسي في قضايا الكون والحياة والخلق المرتبطة بمصالح الإسلام ومقاصده بغية التمكين لدين الله تعالى وتحقيق سيادة الأمة الإسلامية.

٣_ الفكر الإسلامي هو: الفكر الملتزم والمنضبط بقواعد الإسلام وأحكامه والمصطبغ بأخلاقياته وهديه في الرؤى والنظرات العليا لتفسير الكون والحياة والنفس الإنسانية وقواميسها الأزلية.

٤_ الفكر الإسلامي هو: النزعة في التفكير الملتزمة بما جاء عن الله تعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتفسير الوجود وقواميسه والإقرار لله بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة والالتزام برد تشريعات الحياة ونظمها وكذلك قواعد الأخلاق وما يمليه العقل والتجارب إلى ميزان الإسلام وهديه.

وإذا ما حاولنا تقديم تعريف نسهم به في ترسيخ مفهوم الفكر الإسلامي، وانطلاقاً من أن الفكر الإسلامي من المفاهيم الحديثة التي راج استعمالها في الأدبيات المشكلة للخطاب الإسلامي المعاصر، يمكن القول: الفكر الإسلامي هو مجموع الموضوعات التي تخاطب العقل البشري، والتي تدفعه إلى اعمال النظر والتأمل والتفكر والاستنتاج والبحث فيما يتعلق بعلوم الشريعة وقضايا العقيدة والقيم والاتجاهات الحضارية والاجتماعية، وبقضايا العلوم التجريبية وغيرها، كل ذلك من وجهة نظر إسلامية مؤسسة على خلفية عقيدية ثابتة: القرآن الكريم والسنة النبوية.

وبهذا التعريف نتجاوز التعريفات التجزيئية التي تقتصر في تحديدها لمجالات الفكر الإسلامي على علم الكلام والفلسفة والتصوف، أو التعريفات التي تجعل النص الشرعي جزء من مادة الفكر الإسلامي، وذلك

لأن الفكر الإسلامي يضم كل ما أنتجه العقل الإسلامي في كل المجالات وبخصوص كل الاشكاليات والقضايا المرتبطة بالوجود والطبيعة والعلاقات والحياة..... ولكن من وجهة نظر إسلامية، أي فاضلة للمنهجية الإسلامية التي حددتها الشريعة الإسلامية ابتداء، وبذلك يتم إخراج كل الفلسفات والأفكار والفهوم التي تعتمد خلفية عقيدية أو فلسفية غير إسلامية.

المطلب الثاني: خصائص الفكر الإسلامي وغاياته

أولاً: خصائص الفكر الإسلامي

يختلف الفكر الإسلامي عن غيره من الأفكار الإنسانية وسبب هذا الاختلاف هو ما يمتاز به الفكر الإسلامي من خصائص ذاتية تميزه عن غيره، كما أن له غايات يرمي إليها، فهو ليس فكراً نظرياً هدفه اشباع غريزة البحث فقط بل هو يلامس الواقع ويؤثر فيه ويطبعه بطابعه.

وأهم الخصائص الذاتية للفكر الإسلامي تتمثل فيما يلي:

١ـ شرعي المنطلق:

يتميز الفكر الإسلامي أنه ينطلق من مصدري الشريعة الإسلامية وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والفكر الإسلامي ملتزم بمعالم الطريق إلى الله حيث يهدي إلى الله سواء كان سلوكاً أو اعتقاداً لتنتفي بذلك عنه صفة الهوى وعدم الموضوعية حيث يعتبر الفكر تفقه للشريعة الإسلامية إن الفكر الإسلامي فكر ملتزم بمعالم الطريق إلى الله وليس فكراً مجرداً أو معربداً بل هو تفهم وتفقه للشريعة الإسلامية.... ففي الدين الحقائق الثابتة والمعاني التي اشترعها الله، كلية أو فرعية على وجه القطع

أو الدوام، ولكن فيه فكر المسلمين الذين يأخذون تلك المعاني بالشرح ويقدمونها دعوة للآخرين أو يتفهمونها لكي يطبقوها في واقع معين [١].

وشرعية المنطق خصيصة من خصائص الفكر الإسلامي ويستمد منها الفكر الإسلامي قدسيته ومنها تتبلور سائر الخصائص الأخرى كذلك ، فهو تصور اعتقادي موحى به من الله سبحانه ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره، وذلك تمييزاً له من التصورات الفلسفية التي ينشئها الفكر البشري حول الحقيقة الإلهية أو الحقيقة الكونية أو الحقيقة الإنسانية والارتباطات القائمة بين هذه الحقائق، وتمييزاً له كذلك من المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية.... يستطيع الإنسان أن يقول وهو مطمئن: إن التصور الإسلامي هو التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله وحقيقته الربانية.[٢]

وترتب على هذه الخاصية ما يلي:

أ_ إن الفكر الإسلامي أصبح في منأى عن المصالح الإنسانية الخاصة، فالفكر الإسلامي بجميع آرائه الاجتهادية يحقق مصلحة الجماعة وليس مصلحة مجموعة معينة، فهو فكر إنساني قبل أن يكون إسلامياً[٣]

---

[١] قضايا التحديد في الفكر الإسلامي، د. حسن عبد الله الترابي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، ط٢، ١٩٩٥م، ص٨١.

[٢] خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٤٣.

[٣] منهج التجديد في الفكر الإسلامي، د. فاروق النبهان، مطبوع ضمن أعمال ندوة تجديد الفكر الإسلامي المنظمة من قبل مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، للفترة ٤_٥ شعبان ١٤٠٧ه، ٣_٤ أبريل ١٩٨٧م، ص٥٠.

ب_ ضبط العقل: ذلك أن العقل إذا أرخي له العنان ولم يكن له مصدر متين يرجع إليه فأنه تميل به الأهواء، ويقلب مصلحة ينتفع هو بها على مصلحة لا نفع له بها، فخير ما يضبط عمل العقل هو مصدره الشرعي الذي ينير له الطريق ويبلغه طريق الرشاد.

ت_ سهولة القبول: ذلك أن الإنسان متدين بطبعه يألف الدين ويركن إليه، ومن ثم فإن الآراء والأفكار المبنية على أساس ديني تجد طريقها إلى نفسه من غير عناء أو عناد بخلاف الآراء التي لا تكون مبنية على أساس ديني فأنه ينازع فيها وقد يرفضها إن لم تحقق له مصلحة.

٢_ الثبات والاستقرار:

من خصائص الفكر الإسلامي أن له أصولاً عامة ثابتة، وثبات هذه الأصول لم يمنع من استمرار العطاء الفكري من كل جيل، فالجميع يستلهم أفكاره من تلك الأصول الثابتة، فهناك تواصل وتكامل بين الأجيل المتلاحقة. وقد ضربت هذه الأجيال مثلاً رائعاً في سمو الحوار الفكري بينها فلم يسفه جيل ما قدمه الجيل الذي قبله بل كان كل جيل مؤتمناً على منجزات ما قبله مضيفاً إلى ما قدمه رؤيته المتجددة.[١]

وبما أن الفكر الإسلامي تتصدر خصائصه شرعية المنطق فلا بد لهذه الخاصية أن تجعل من هذا الفكر ثابتاً لا تغيره الأهواء ولا تبدله المواقف شأن الفكر البشري، إن خاصية الثبات تظل ملازمة للفكر الإسلامي فثبات المصادر والأصول للفكر الإسلامي هي التي تنعكس الفكر الإسلامي لتجعله فكراً ثابتاً هناك ثبات في مقومات هذا التصور

---

[١] منهج التجديد في الفكر الإسلامي، د. فاروق النبهان، مرجع سابق، ص٥٠.

الأساسية وقيمه الذاتية. فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية... فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التطور ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة ولكن يقتضي السماح لها بالحركة، بل دفعها إلى الحركة ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت [١]

إن الحقائق الثابتة في الفكر الإسلامي والتي لا تقبل الأخذ والرد وتتمثل في حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، إن الكون بما فيه من خلقه تعالى، حقيقة الإيمان بالله وأركان الإيمان والإسلام وأركانه كل هذه الحقائق هي ثابتة ولا تقبل أي تغيير وتبديل، إن خاصية الثبات هي التي تعصم الفكر الإسلامي من الإنحراف وتعصم المسلمين من الإنحطاط في المعتقد يقول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[٢]

٣_ العقلانية:

من خصائص الفكر الإسلامي أنه عقلاني في آرائه وأفكاره، فلا يصطدم مع المسلمات والثوابت العقلية كما في بعض الأفكار الدينية في الديانات الأخرى. إن التصادم بين الفكر الديني والعقل يجعل النفس تنفر من فكرها

---

[١] خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، مرجع سابق، ص٤٣.
[٢] سورة الروم الآية: ٣٠.

الديني لأنه يجعلها تعيش في تناقض بين ما يمليه عليها فكرها الديني وبين ما يمليه عليها عقلها. وينفرع عن عقلانية الفكر الإسلامي كونه أخلاقياً يمقت كل خلق سيء ورذيلة. ذلك أن الإنسان مفطور على الفضيلة.

٤_ الشمول:

شمول الفكر الإسلامي إنما يعبر عن شمول الإسلام كنظام للحياة، يفي بمتطلبات الحياة في مجال العقيدة والاقتصاد والسياسة والقانون وسائر متطلبات الحياة المجتمعية، هذه المجالات جميعها سيغطيها الفكر الإسلامي صلح الإسلام أن يكون منهج حياة شاملاً متكاملاً، منهجاً يشمل الاعتقاد في الضمير والتنظيم في الحياة بدون تعارض بينها، بل في ترابط وتداخل يعز فصله [١] ويقول الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ .[٢]

يقول د. الترابي في معنى الشمول: ينبغي أن نحدث ثورة في تجديد فقهنا أو فكرنا الديني لنستدرك هذه المتأخرات عبر القرون الطويلة ولنضفي روح التدين على كل هذه القطاعات الجديدة من الحياة التي لا حكم اليوم للدين فيها، قد يعلم المرء اليوم كيف يجادل إذا أثيرت الشبهات في حدود الله ولكن المرء لا يعرف اليوم تماماً كيف يعبد الله في التجارة أو السياسة

---

[١] خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، مرجع سابق، ص٤٣.

[٢] سورة يس الآية: ١٢.

أو يعبد الله في الفن، كيف تتكون في نفسه النيات العقدية التي تمثل معنى العبادة، ثم لا يعلم كيف يعبر عنها عملياً بدقة [١]

٥_ التوازن:

خاصية التوازن في الفكر الإسلامي هي التي تجعله فكر لا يجنح إلى أحد طرفي النقيض فهي التي توازن بين مصادر المعرفة من وراء الغيب والشهادة بحيث تجعل المسلم لا يشتط في استيعابه لعالمي الغيب والشهادة، وعن طريقها يتوازن المسلم بين الخوف والرجاء فهو كما يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .[٢] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.[٣]

عن طريق التوازن أيضاً يعبد المسلم ربه بعيداً عن التطرف والرهبانية أو إهمال ما يجب أن يقوم به من تكاليف، ليتخذ بين ذلك طريقاً متوازناً يؤدي ما عليه من فرائض وما يستطيع من سنن دون إفراط أو تفريط.

ويكون التوازن في الانفاق حيث ينفق المسلم وهو يراعي جانب الإتزان قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ .[٤] يأتي التوازن أيضاً ضمن خلق الكون والإتساق الذي ينظم الحياة قال تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾.[٥]

---

[١] قضايا التجديد في الفكر الإسلامي، د. حسن عبد الله الترابي، مرجع سابق، ص٩٦.

[٢] سورة البقرة الآية: ١٩٦.

[٣] سورة البقرة الآية: ١٤٣.

[٤] سورة الإسراء الآية: ٢٩.

[٥] سورة الملك الآية: ٣.

يذكر د. الترابي أن الفقه الإسلامي بدا حياً باتحاد العقيدة والشريعة أي الباطن بالظاهر واتحاد المعاني والمقاصد مع صور الشعائر والعبادات ولكنه ما لبث أن جنح إلى التطرف دون آخر، وما اهتم بالشكل والمظهر وترك "الجوهر" أو العكس، ووجه التجديد هنا يعني بالضرورة أن يتكامل الانسجام ويتواصل كما كان، وقد بدأ الفقه الإسلامي فقهاً حياً تتحد فيه العقيدة والشريعة وتتحد فيه المعاني والمقاصد مع صور الشعائر والعبادات، ولكن ظروف تطور طرأت عليه فأدخلت فيه كثيراً من مظاهر الشكلية وبذلك احتاج تاريخ الفقه الإسلامي وتاريخ الدين ودائماً في دوراته إلى حركات تجديد وتقويم، أن وجدته موغلاً في الباطنية والعقائدية استدعى الأمر أن يجدد أمره بتكثيف وسائل التعبير عنه لأن النفوس لا يمكن أن تمتلئ بالإيمان دون أن تفيض به في واقع الحياة أشكالاً وأعمالاً محددة، ولا بد للفقهاء من رسم تلك الأشكال والقوالب وعمران واقع الحياة تعبيراً عن العقيدة التي تعمر بها الصدور.[١]

إن التوازن الذي يتحدث د. الترابي بين الشكل والجوهر وهو نفس التوازن الذي تحدث عن ضوابط النظام التي تحكم الفكر حتى لا يصبح فوضى فالمطلوب التوازن هنا بين الضوابط المنظمة والطلاقة وكذلك تدور على الفكر دورات التنظيم والطلاقة فلابد من أن تتوازن في كل فكر ضوابط النظام التي تحكم الفكر من أن يصبح فوضى ودواعي الطلاقة التي تعصم الفكر من أن يتجمد[٢]، حيث يحدثان يتسع الاجتهاد وتتفرع شعاب

---

[١] قضايا التجديد في الفكر الإسلامي، د. حسن عبد الله الترابي، مرجع سابق، ص٩١.

[٢] المرجع السابق نفسه.

المذاهب الفكرية وتكثر الآراء المختلفة حول مختلف المواضيع بذلك يجب الضبط والتوازن.

٦_ الواقعية:

الواقعية خاصية من خصائص الفكر الإسلامي وأي فكر لا يتفاعل مع الواقع وهو بالضرورة فكر مثال، لا مجال له في عالم التطبيق. لذلك كان الفكر الإسلامي واقعياً يعبر عن الوجود بواقعية على مستوى الكون المرئي، كما أن نظام العبادة هو الآخر واقعي يستطيع البشر ممارسة العبادة خلافاً لبعض الشعائر المثالية التي يعجز البشر عن أدائها وأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.[١]

هذه الواقعية لا تقتصر فقط في مجال المحسوس والعبادة المفروضة بل تتجاوز ذلك حيث أن الخصام بين الواقع الطبيعي والعلم الشرعي لا أصل له بمعايير الإسلام ولابد لنا أن نحرر العلوم الطبيعية ونربطها بالدين رباط العالم بالعلمين معاً ومن ثم نستطيع أن نواكب العصر مجددين للدين فالعلم الطبيعي والعلم الشرعي فرعان من علم الدين ينبغي أن يتناصرا وأن يتحدا ليتوحد العلم كله، ويوجه إلى الله تعالى ويسخر لعبادته فوق الأرض ولكن لما اقتصر علمنا في عصر من العصور على النقل تأخر فينا علم الطبيعة، حتى استيقظنا على صراعات الغزو الفكري الأجنبي، ووردت إلينا علوم الطبيعة اليوم وهي تحمل روح تجافي الدين، مرده إلى الصراع بين علوم الدين وعلوم الطبيعة أو بين رجال الدين

---

[١] سورة البقرة الآية: ٢٨٦.

ورجال العلم في أوربا.... لا يمكن أن نجتهد إلا إذا تعلمنا علوم الطبيعة كما نتعلم الشريعة وبادوية الشريعة، ومهما حصل لك من العلم الديني بمعالجات الشريعة وبادويته السريعة، فلابد لك من تشخيص المجتمع لتعلم الداء ثم تقدر ما هو الدواء الشرعي المعين الذي يناسب ذلك المجتمع، وذلك يستدعيك أن تدرس المجتمع دراسة اجتماعية واقتصادية وأن تدرس البيئة الطبيعية، دراسة فيزيائية وكيميائية حتى تستطيع أن تحقق الدين بأكمل ما يتيسر لك [١]

ثانياً: غاياته

أما أهم الغايات التي يرمي الفكر الإسلامي إلى تحقيقها فهي:

١_ تحقيق السعادة للفرد:

تحقيق الطمأنينة والسعادة للفرد أسمى غايات الفكر الإسلامي ذلك أن الفكر الإسلامي يسعى إلى السمو بالنفس البشرية وذلك من خلال تخليصها من أسقامها وترويضها لقبول منهج ربها، ولا ريب أن العيش وفق المنهج الرباني يحقق للنفس طمأنينة وسعادة للتوافق الكامل بين ما فطرت عليه النفس البشرية وبين المنهج الرباني الذي تحيا في كنفه.

٢_ تنظيم المجتمع ورقيه:[٢]

من غايات الفكر الإسلامي تنظيم المجتمع والرقي بهذا التنظيم إلى أعلى مستوى مادام ذلك متوافقاً مع أصوله العامة، ويتضح هذا جلياً من خلال

---

[١] قضايا التجديد في الفكر الإسلامي، د. حسن عبد الله الترابي، مرجع سابق، ص٩٥.

[٢] منهج التجديد في الفكر الإسلامي، د. فاروق النبهان، مرجع سابق،ص٥٠.

الآراء الاجتهادية الدقيقة التي وضعها علماؤنا في تنظيم الشؤون الإدارية والقضائية للدولة ووضع الضوابط التي تحدد سلطة الحاكم وعلاقته بالمحكومين.

المبحث الثالث
مصادر الفكر الإسلامي وحجيته

بناء على ما جاء في مفهوم الفكر الإسلامي فإنه ينطلق من الإسلام كمرجع موجّه يحكم بكليات الفكر وجزئياته، حيث يحدد الرؤية الكلية النهائية الإنسان المسلم، وما يتفرع عنها من أبعاد تربوية واجتماعية وسياسية واقتصادية وغيرها، وقد أجاب الفكر الإسلامي في مختلف عصوره عن إشكالات عدّة في المجالات المذكورة، تمثلت في جملة العلوم التي ما فتئت تتبلور وتتأصل بداية من القرن الثاني للهجرة، كالفقه وعلوم الحديث وعلم الكلام وغيرها من العلوم.

وتأسيساً على ذلك قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين، نتناول في الأول منه: مصادر الفكر الإسلامي ووسائل المعرفة فيه، وفي المطلب الثاني نتكلم عن الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: مصادر الفكر الإسلامي

أولاً: الوحي

١_ القرآن الكريم:

غني عن التعريف، وبديهي، ومن العبث تعريف البديهيات لذا نقتصر على وصف الشافعي "رحمه الله" القرآن فقال: فكل ما أنزل الله في كتابه جل ثناؤه رحمة وحجة، علمه من علمه وجهله من جهله، لا يعلم من

جهله ولا يجهل من علمه [١]، وقال الشاطبي في وصفه: أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة وينبوع الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، إن لا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه [٢] والقرآن الكريم قد أمن الثبوت لأنه منقول في كل عصر من العصور الإسلامية بالتواتر منذ نزول الآية الأولى إلى يوم القيامة، أما دلالته على الأحكام فقد تكون تعطيه إذا لم يحتمل النص أكثر من حكم أو معنى واحد، وأما أن تكون دلالة النص ضيقة إذا احتمل أكثر من حكم أو معنى واحد [٣] ولعل النصوص الظنية في الكتاب العزيز أكثر من النصوص القطعية، وفي ذلك يكون مجال المفكر المسلم أوسع لأن يكون متسلحاً بضوابط فهم النصوص مستقرئاً مقاصدها ومآلاتها، ومن الاستقراء الأصولي لنصوص القرآن المجيد نجد أن النصوص الظنية تتعلق بحركة الحياة المتغيرة، بينما النصوص القطعية فتتعلق بأصول العقيدة وأصول الأخلاق، وثوابت الفطرة الإنسانية التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

والقرآن الكريم في كثير من آياته يحض على النظر ويأمر بالتفكير والبحث عن حقائق الأشياء، أنه يدعو إلى النظر في ملكوت السماوات

---

[١] الرسالة في علم الأصول، الإمام محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠ه _ ٢٠٤ه ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٨هـ، ص١٩.

[٢] الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، المالكي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفاف، الرياض د.ت ، ٣٤٦/٣.

[٣] أصول الفقه في نسيجه الجديد، د. مصطفى ابراهيم الزلمي، طبع شركة الخنساء للطباعة المحدودة، بغداد، ط٥، ١٩٩٩م، ص٢٦ وما بعدها.

والأرض ويطلب من العقول الواعية والقلوب المستنيرة أن يتدبروا حقائق الأشياء وينظروا في الكون طلباً لمعرفته قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .[١]

وقال جل شأنه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.[٢]

ويقول سبحانه: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.[٣] وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.[٤]

فالقرآن الكريم فتح المجال واسعاً أمام الفكر وحث وأمر بناء الإسلام على استعمال العقل في استنباط الأحكام، وكان للاتجاه البياني الذي نشأ في دراسة القرآن الكريم أثره الكبير في تطور الدراسة العقلية[٥]، إن اعتماد

---

[١] سورة آل عمران الآية: ١٩٠.
[٢] سورة ق الآية: ٦_٧.
[٣] سورة الذاريات الآية: ٢١.
[٤] سورة البقرة الآية: ١٦٤.
[٥] محاضرات في الفكر الإسلامي، د. عقيد خالد العزاوي، د. ياسر خلف الشجيري، مرجع سابق، ص٣٠.

علماء أصول الفقه على أسس عقلية لاستنباط دلالة الخطاب القرآني كان له الأثر الكبير في تنمية التيار العقلي في النصوص القرآنية[١].

لقد دفع القرآن الكريم علماء المسلمين إلى إعمال أفكارهم في مجالين:

الأول: في مجال الاجتهاد في تفسير القضايا التي لم تقرر بنصوص قطعية.

الثاني: في مجال القضايا التي لم يتطرق إليها القرآن الكريم والسنة النبوية.[٢]

٢_ السنة النبوية الشريفة:

أصل من أصول الشريعة الإسلامية، والعمل بها واجب مالم يثبت عدم صحتها، وقد أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على وجوب إطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه بعد إطاعة الله تعالى ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾.[٣] وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾.[٤]

والسنة النبوية هي الأخرى مصدر من مصادر الفكر الإسلامي بعد القرآن الكريم حيث يشكلان الوحي حيث يبحث المفكر المسلم أولاً في ثبوت

---

[١] بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لتنظيم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص٣١.

[٢] الفكر الإسلامي في تطوره، محمد البهي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م، ص١٢.

[٣] سورة النساء الآية: ٥٩.

[٤] سورة النجم الآية: ٣_٤.

الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ما تأكدنا منها يرجع إلى النصوص القطعية ثم النصوص الظنية فيها فيتعامل معها كما تعامل مع نصوص القرآن الكريم، فيستنبط منها الأحكام والأفكار الجديدة . حيث أن السنة النبوية كانت وما زالت رافداً للعقل بأوليات استعملها العقل مقدمات في أثناء قياسه لأجل استنباط بعض الأحكام، وكان لوجود الغريب في الحديث وإعطاء أحكام كلية في أحاديث أخرى مدعاة إلى إعمال الفكر لأجل فهم دلالة الحديث، على معناه وتفسير فهم الأحكام الكلية الواردة فيها.[١]

ثانياً: الكون:

أن الفكر الإسلامي لا يشمل الإنتاج الذي يتناول الإسلام كموضوع للمعرفة فقط، بل هو كل إنتاج ينطلق من الإسلام كمرجعيّة تحدد له رؤيه الكليّة للكون والإنسان والحياة، لذلك فالكون هو لمصدر آخر للفكر الإسلامي، وقد جاء القرآن الكريم يتحدّث عن الكون في الكثير من آياته، بل إنّ الآيات التي تحدّث الله فيها عن الكون أكبر وأكثر من آيات الأحكام.

والكون في الرّؤية الكونيّة التوحيدية يشمل الكون الطبيعي سنن الآفاق، وذلك بمعرفة القوانين الكونيّة الطبيعيّة في السماوات والأرض والحيوان

---

[١] محاضرات في الفكر الإسلامي، د. عقيد خالد العزاوي، د. ياسر خلف الشجيري، مرجع سابق، ص٣١.

والنبات والإنسان لاستخراج آيات الله فيه، ومعرفة سننها التي تسيّرها وتسخيرها في إعمار الأرض لتحقيق خلافة الإنسان.[١]

والكون الإنساني سنن الأنفس، وذلك بدراسة قوانين المجتمعات الإنسانيّة، وسنن قيام الحضارات وأصولها، وتدخل فيها المعرفة الإنسانية وما أنتجته في التاريخ والاجتماعيّات والإنسانيّات بما يتوافق فيها مع الرؤية التوحيديّة، يقول تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.[٢]

فالإسلام يحث المسلمين على البحث والنظر والتأمل والاعتبار بالأمم كذلك وأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها [٣].

وينبغي أن نشير إلى ضرورة التوفيق بين ما يعتبر مصدراً في الفكر الإسلامي، وما يعتبر رافداً، فالوحي قرآن وسنة والكون الإنساني يعتبران من مصادر الفكر الإسلامي لمعرفة سنن الأنفس الاجتماعية والنفسية بما هي قوانين وضعها الله تعالى في الأفراد والأمم والمجتمعات، أما الخبرات الإنسانية وما انتجته من فكر بغض النظر عن اختلاف مله

---

[١] دراسات في الفكر الإسلامي، محمد حسين عبد الله، مرجع سابق، ص٢٥.

[٢] سورة فصلت الآية: ٥٣.

[٣] سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الترمذي السلمي، ت٢٧٩ه ، تحقيق: أحمد شاكر، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د،ت ٣٨٢/٣، سنن ابن ماجه، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزوي، ت٢٧٣ه دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ٢٨١/٢، تحقيق: أحمد شاكر.

ومذاهبه، فيعتبر رافداً من روافد الفكر الإسلامي يؤخذ منه ويرد بما يخدم أهدافه، وتوافق مع الرؤية التوحيدية[١].

إن المعرفة في الفكر الإسلامي تتفتح على مجالين واسعين وهما عالم الغيب وعالم الشهادة، عكس الفكر الذي يقتصر على الجانب المادي من عالم الشهادة ، وهو ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾.[٢] وبالنظر إلى هذين المجالين المتداخلين يتوسل الفكر الإسلامي إلى المعرفة بثلاث وسائل تتساوى في الأهمية، وهي العقل والقلب والحواس[٣].

١ العقل: اختلف العلماء والمفكرون في تعريف العقل، فمنهم كم أنكر وجود شيء مستقلّ بهذا الاسم، وجعله هو والعلم اسمين لمسمّى واحد[٤]، ومنهم من جعله رديف القلب[٥]، ومنهم من أسهب في الحديث عنه بطريقة تبين حدوده، وقسّمه إلى أقسام عدّة، وبيّن وظيفة كل قسم[٦]، غير أننا إذا عدنا إلى القرآن الكريم فلن نجد كلمة "عقل" كمصدر، وإنما

---

[١] دراسات في الفكر الإسلامي، محمد حسين عبد الله، مرجع سابق، ص٢٧.

[٢] سورة الروم الآية: ٧.

[٣] دراسات في الفكر الإسلامي، محمد حسين عبد الله، مرجع سابق، ص٣٤ وما بعدها.

[٤] أزمة الفكر الحديث، د. محمد عمارة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ص٩٩.

[٥] الأعمال الكاملة، للإمام محمد عبده، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، بيروت، ط١، ١٩٧٢م، ٣١٨/٢.

[٦] قضايا التجديد في الفكر الإسلامي، د. حسن عبد الله الترابي، مرجع سابق، ص٨١.

جاءت في صيغ فعلية متعدّدة، مثل: "تعقلون"، و "يعقلون"، و "عقلوه"، و "يعقلها"، و "نعقل"، وهو ما يدلّ على أن العقل ليس مصدراً قائماً بذاته، وإنّما هو عمليّة تعقّل يقوم بها الإنسان، ليربط بين الدال والمدلول، والأسباب والمسببات، والمقدمات والنتائج، وغيرها من العمليات الوظيفية في الأشياء المجرّدة منها والمحسوسة للوصول إلى فكر يسير به في حياته، ويسيّر به شؤونه.[١]

فالعقل إذاً وسيلة أو آليّة في إنتاج الفكر عموماً، وفي الفكر الإسلامي العقل وسيلة للتدبّر في الوحي لاستخلاص مقاصده وعلومه، والتأمل في الكون لمعرفة قوانينه وقواميسه، فعمل العقل وفق هذا المنظور يكون في مجمله في الأمور المجرّدة.[٢]

٢ القلب: لا يقصد بالقلب هنا ذلك العضو الحي الذي يقع في الجانب الأيسر من القفص الصدري، والذي يقوم بضخّ الدّم في جسم الإنسان، وإنّما هو تلك اللّطيفة الرّبانيّة _حسب تعبير الغزالي أبي حامد_ التي يشعر بها الإنسان، وهو محلّ التصديق والإيمان، وعلى اعتبار أن الفكر الإسلامي ينفتح على عالم الغيب، بل إنّ اعتبار الوحي والكون كمصدرين له ينبني على التصديق بالغيب والإيمان به، وهو توحيد الله باعتباره منزل الوحي وخالق الكون، وذلك لا يكون إلا بالقلب محلّ التصديق والإيمان[٣]، لذا نجد الولى "عز وجل" يسبق لفظ الغيب بالإيمان فقال تعالى: ﴿

---

[١] أزمة الفكر الحديث، د. محمد عمارة، مرجع سابق، ص٩٩.
[٢] المرجع السابق، ص١٠٥.
[٣] إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، مصدر سابق، ١٧/٢ وما بعدها.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾.[١] ، فالقلب إذاً هو وسيلة من وسائل الإدراك والمعرفة في الفكر الإسلامي، وهو من الأهمية بمكان حيث لا يمكن استبداله بالعقل ولا بغيره، فعمل القلب وفقاً لهذا يكون في الأمور الوجدانية.[٢]

٣ الحواس: وهي جمع حاسة، وهي الوسائل التي ندرك بها الأمور الماديّة، كالأذن التي تقوم بوظيفة السّمع، والعين التي تقوم بوظيفة البصر، والأنف الذي يقوم بوظيفة الشّمّ، وغيرها من الحواس التي نتواصل بها مع عالمنا الخارجي.

وقد بين الولى "عز وجل" هذه الوسائل في كتابه قائلاً: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾.[٣] فالسّمع والبصر الحواس والفؤاد القلب والعقل ، هي وسائل العلم والمعرفة في الفكر الإسلامي.[٤]

المطلب الثاني: الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي

الأصالة والمعاصرة من الكلمات التي كثر الحديث عنها والدعوة إليها في العصر الحاضر، وما من شيء أخطر على الدعوة من أن تلتبس سماتها الأساسية أو يلابس خصائصها غموض واضطراب. وعلى ما تقدم سنتناول هذا الموضوع الحيوي على النحو الآتي:

---

[١] سورة البقرة الآية: ٣.
[٢] أزمة الفكر الحديث، د. محمد عمارة، مرجع سابق، ص١٠٧.
[٣] سورة الإسراء الآية: ٣٦.
[٤] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، مرجع سابق، ٣٢٠/٢.

الفرع الأول: تعريف الأصالة لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الأصالة لغة:

١_ أساس الشيء.

٢_ أصالة الشيء ومنها رأي أصيل له أصل، ورجل أصيل الرأي اي ثاقب الرأي عاقل، ومجد أصيل ذو أصل، وهذا الأخير لم تنطق به العرب إنما هو شيء استعمله الأوائل في بعض كلامهم.[١]

قال الفيومي: ثم كثر استعمال الأصل حتى قبل أصل كل شيء ما استند وجود ذلك الشيء إليه، فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول والجمع أصول، وأصل النسب بالضم أصالة شرف فهو أصيل مثل كريم وأصلته تأصيلاً جعلت له أصلاً ثابتاً يبنى عليه وقولهم لا أصل له ولا فصل قال الكسائي الأصل الحسب والنسب.[٢]

والمعنى الثالث هو القريب من المعنى الاصطلاحي المراد هنا، فالأصيل هو المتمكن في أصله الثابتة جذوره ومنه قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.[٣]

فالأصالة تعني في اللغة الثبات والإحكام والتجذر والتعمق والشرف، وعكسها ما لا أصل له ولا قرار ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾.[٤] كما أن المعنى

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ١٦/١١.

[٢] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، مصدر سابق، ص١٤.

[٣] سورة ابراهيم الآية: ٢٤.

[٤] سورة ابراهيم الآية: ٢٦.

الأول والثاني ليسا بعيدين عن المعنى الثالث: لأن الأساس يعني أن الشيء ليس مجتث الأصل، بل له أساس ينبنى عليها.

والأصالة تتضمن معاني القوة والثبات والاستحكام، وأصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه.[١]

ومن مدلولات الأصالة: القاعدة وأصل كل شيء أسفله، وأيضاً: الدوام والاستمرار، يقال: إن النخل بأرضنا لأصيل أي هو ما لا يزال ولا يفنى.[٢]

ثانياً: تعريف الأصالة اصطلاحاً:

الأصالة من المصطلحات المستحدثة، ومن ثم فهي بحاجة إلى ضبط، والإبانة عن أبعادها وتوضيح مفهومها.

وقد قيل فيها: أن الأصالة هي ما تنزل به الوحي الإلهي المعصوم على خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم، والمنهج الأصيل هو ما تضمنه الدين الحنيف بمراتبه الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهو ما يعبر عنه بالعقيدة والشريعة والأخلاق[٣] وتطلق الأصالة على كل شيء ارتبط بأصله، ومصادره الأساسية، وقد ورد في القرآن الكريم لفظ

---

[١] لسان العرب: ابن منظور، مصدر سابق، ١٦/١، مادة أصل ، المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ٢٠/١، مادة أصل .

[٢] لسان العرب: ابن منظور، مصدر سابق، ١٦/١، مادة أصل ، المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ٢٠/١، مادة أصل .

[٣] وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، بحث منشور في مجلة دراسات رئوية، جامعة الخرطوم، السودان، العدد ١٦، يونيو ٢٠٠٨م، ص١٦٣.

أصل وجمعه آصال في عدة آيات كريمة إشارة إلى الفترة الزمنية من العصر إلى المغرب، حيث عطف لفظ أصيل في بعض الآيات الكريمة على لفظ بكرة أي وقت الصباح [١] كما ورد هذا اللفظ في صيغة الجمع الآصال في عدة آيات كريمة معطوفاً على لفظ الغدو وهي فترة الظهيرة[٢]، ولم يرد لفظ الأصالة بالمعنى الاصطلاحي السابق ذكره في القرآن الكريم.[٣]

ومع هذا فمن خلال التعريف اللغوي للأصالة نستشق التعريف الاصطلاحي، فالأصالة في اللغة مأخوذة من الأصل والشيء الأصيل هو الثابت الذي له أساس وأحكام وأصل فهو الشيء الثابت ذو الجذور المتأصلة المحكمة، لذا يمكن القول أن الأصالة تعني التمسك بثوابت الشريعة الإسلامية من خلال الأدلة الشرعية المعتمدة لاستنباط الأحكام الفقهية التفصيلية.

وبصفة خاصة دليل المصالح المرسلة، دليل سد الذرائع، دليل الاستحسان، وغيرها من الأدلة الشرعية التي تعتمد في جانب كبير منها على الاجتهاد فيما يسمى بمقاصد الشريعة أو روح التشريع على سبيل المثال.

---

[١] سورة الفرقان الآية: ٥، سورة الأحزاب الآية: ٤٢، سورة الفتح الآية:٩، سورة الإنسان الآية: ٢٥.

[٢] سورة الأعراف الآية: ٢٠٥، سورة الرعد الآية:١٥، سورة النور الآية: ٣٦.

[٣] الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، حورية تاغلايت أطروحة دكتوراه مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، سنة ٢٠٠٧_٢٠٠٨م، ص٣٠.

والإيمان بصدق ما يدركه العقل البشري، وكذلك بصدق مالا يدخل في نطاق القدرة البشرية على الإدراك إذا ما كان مصدره الوحي[١]، ويتمثل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾[٢].

إن الميزان الذي نزن به الفكر في أي عصر من العصور، ونتعرف على صحته واستقامته وجب عرضه على كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا وافق الفكر ما جاء فيهما كان فكراً أصيلاً.

وعلى هذا تكون الأصالة إذاً هي موافقة الفكر لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبمعنى آخر أن تكون نتائج جهده العقلي في محاولة الفهم لما جاء به الإسلام منسجمة مع روحه وقواعده.

فبمقدار هذه الموافقة تكون الأصالة والموافقة هذه تأتي بوجوه متعددة منها:

١_ الموافقة الموضوعية.

٢_ الموافقة المنهجية.

٣_ الموافقة في الغاية.

فأما الموافقة الموضوعية: فتظهر في حصيلة الفكر وتناسقها مع معطيات الكتاب والسنة.

---

[١] الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. حورية تاغلايت، مرجع سابق، ص٣٧.

[٢] سورة آل عمران الآية: ٧.

وأما الموافقة المنهجية: فتظهر في اتباع الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في عرضه الموضوعي لمضامينه، لأن في ذلك العرض غاية، حتى لا يتم إعلاء جانب من الإنسان على حساب جوانب أخرى.

وأما الموافقة في الغاية: فتظهر في الآثار التي يمكن أن ترتب هذا الفكر. وإذا كان من الممكن أن نصف الفكر بالأصالة عند موافقته لما في الكتاب والسنة فإنه يمكننا أيضاً أن نصف المفكر بأنه أصيل إذا بنى على الكتاب والسنة فاستجاب لما فيهما، وسلك منهجهما، وتغيا غايتهما.[١]

ومن هذا يمكن القول بأن المقصود بالأصالة هو المحافظة على جوهر الإسلام بالاستناد إلى الأصول والأدلة الشرعية والتمسك بالمبادئ الأساسية التي جاء بها الإسلام.

الفرع الثاني: تعريف المعاصرة:

أولاً: تعريف المعاصرة لغة

تأتي على وزن مفاعلة من العصر، وللعصر عدة معان أهمها وقت وجوب صلاة العصر، وهو الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس، وعاصر فلاناً لجأ إليه ولاذ به وعاش معه في عصر واحد.[٢]

ثانياً: تعريف المعاصرة اصطلاحاً

عرّفت المعاصرة عدة تعريفات كلها تدور في محور واحد أبرزها:

---

[١] رسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، مرجع سابق، ص١٦٤، الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، د. محمد رأفت سعيد، إصدار كلية الشريعة، بالرياض، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م، ص٨.

[٢] المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ٦٠٤/٢، مادة عصر

(١) المعاصرة هو أن يعيش المرء في عصره، عارفاً بزمانه، مغيراً على شأنه بأصالته

(٢) تفاعل المفكر المسلم والعصر الذي يعيش فيه بحيث يعالج واقعه ويلبي متطلباته وفق التصور الاسلامي [١]

(٣) الأصالة والمعاصرة معاً هما الركيزتان الأساسيتان في التصور الاسلامي بلا تقابل أو حتى فصل بينهما ، ويظهر هذا الترابط العضوي بين الأصالة والمعاصرة في التصور الاسلامي من خلال الأدلة الشرعية المعتمدة لاستنباط الأحكام الفكرية التفصيلية [٢]

الفرع الثالث: ضوابط الأصالة والمعاصرة

لهذه الكلمتين ضوابط حتى لا يساء فهمهما مصاب المسلم المفكر والداعية بالجمود أو يقع في التنازلات والتجاوزات، فليست الأصالة تحجراً في العقول ، وليست المعاصرة أيضاً ميوعة في المواقف ولا ذوباناً في الشخصية وليست الغاية إرضاء الناس وتحقيق رغباتهم، وانما العمل على هدايتهم ودلالتهم على الصراط المستقيم قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .[٣]

---

[١] الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، محمد المبارك ، دار الفكر بيروت، ط ٢ ، ١٩٧٠م، ص ٢٧.

[٢] الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، محمد رأفت سعيد ، مرجع سابق، ص ١١.

[٣] سورة البقرة الأية ١٢٠

ومن أهم هذه الضوابط :

١-المحافظة على الأصول الشرعية محافظة تامة ، والتمسك بالسنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين والعض عليها بالنواجذ قال تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.[١] وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : " أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة "[٢] . والاتباع والتأسي بسنة رسول الله صلى الله عليه سلم وسنة خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، يشمل أقوالهم وأفعالهم ، كما يشمل سيرتهم العملية ومناهجهم التطبيقية . والاتباع في المناهج والأساليب مقدم في الأهمية على الاتباع في الأقوال والأحكام .

٢-اجتناب البدع اجتناباً كاملاً ، والحذر منها كل الحذر : ففي الحديث : "وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة "[٣] وفي

---

[١] سورة الحشر الآية رقم ٧

[٢] سنن أبي داوود ، حديث رقم ٣٩٩١ ، ٢١١/٢ ، سنن الترمذي ، مصدر سابق حديث رقم ٢٦٠٠ ، ٢٨٧/٩ ، وقال حديث حسن صحيح

[٣] الجامع الصحيح صحيح البخاري . محمد بن الخليل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ت ٢٥٦ ه تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار الفكر

الحديث أيضاً : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [١] . ولا بد هنا من حمل الأحاديث المطلقة [٢] على المقيدة [٣]

بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م ، حديث رقم ٩٧٣٥ ، ٢٤٦/٢٢ صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١ ه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت د - ط ، د – ت حديث رقم ١٤٣٥ ، ٣٥٩/٤ .

[١] صحيح البخاري ، مصدر سابق ، حديث رقم ٢٤٩٩ ، ٢٠١/٩ ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، حديث رقم ٣٢٤٢، ١١٨/٩ ، سنن أبي داوود ، مصدر سابق ، حديث رقم ٩٩٠٠ ، ١٠/٢

[٢] المطلق مادل على شائع في جنسه ، مختصر منتهى السؤل والامل في عالمي الأصول والجدل ، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بأبي الحاجب تحقيق د. نزيه عماد، دار ابن حزم ط ١ ، ١٤٢٧ هـ ، ١٥٥/٢، وقال الأسدي وهو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه الأحكام في أصول الأحكام ، على بن محمد الأسدي ، تحقيق عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ط١، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م ، ١٦٨/٢ ، وقال البهاري المطلق مادل على فرد منتشر ، مسلم الثبوت ، محب الله بن عبد الشكور البهاري ، مطبعة كردستان العلمية ، ١٩٠٧ م ، ٢٨٨/١ ، وعرفه الزلمي بقوله المطلق لفظ دال على ماهية مشتركة بين عدة أنواع أو أصناف أو أفراد يصلح لأن يراد به أي واحد منها على سبيل التناول قبل التقييد ، اصول الفقه في نسيجه الجديد ، د. مصطفى ابراهيم الزلمي وطبع في شركة الخنساء للطباعة المحدودة ، بغداد ط٥، ١٩٩٩ ، ص ٣٤٠ .

[٣] المقيد : هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه مع تقييده يوصف من الأوصاف ، الأحكام في أصول الأحكام ، الأسدي ، مصدر سابق ، ٣/٣-٤ وبعبارة أخرى هو ما كان من الألفاظ الدالة على فرد أو أفراد معينة مع اقترانه بصفة تدل على تقييده بها ، مثل : رجل عراقي ، رجال عراقيون ، كتب قيمة ، الوجيز في أصول الفقه ، د. عبد الكريم زيدان ، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ط ١ ، ١٣٨١ ه ، ١٩٦١ م ، ص ٢٦٧ .

وذلك ليصح فهمها ، والعمل بالمنطوق [١] والمفهوم [٢] خير من العمل بأحدهما ، واخراج البيهقي عن الشافعي أنه قال " المحدثات ضربان : ما أحدث يخالف كتاباً ، أو سنة ، أو أثراً أو إجماعاً ، فهذا بدعة الضلال وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة ".[٣]

٣- التمييز بين المناهج الدعوية الثابتة وبين الأساليب والوسائل المتطورة فمن المناهج ماهو رباني ثابت لا يجوز أن يطرأ عليه تحويل أو تغيير ، قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .[٤] ومن الوسائل ماهو بشري متطور ، يضعه الدعاة بما يتناسب مع المدعوين ، مجتهدين في ذلك مقتبسين له من منهج الله تعالى . وهذا النوع من الوسائل

---

[١] المنطوق هو ماتناوله النص في لفظه من حكم لا يتوقف استنباطه منه على غيره أصول الفقه في نسيجه الجديد ، د. مصطفى الزلمي ، مرجع سابق ص ١٨٠ .

[٢] قسم على الأصول المفهوم إلى قسمين مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة ، هو مايستنبط من روح النص وفقراته ومن الصلة الموجبة التشريعية فمفهوم المخالفة ، حكم مخالف للمنطوق يستبط من تخلف القيد الوارد في النص المعتبر في حكمه ومفهوم الموافقة عبارة عن حكم يستنبط من روح النص ومعقوله ويكون موافقاً دائماً مع المنطوق ، أصول الفقه في نسيجه الجديد ، مصطفى ابراهيم الزلمي ، مرجع سابق ، ص ١١٩ ومابعدها .

[٣] مناقب البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، أبو بكر ت ٤٥٨ ه تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار التراث مصر ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ ، ٤٦٩/١ .

[٤] سورة الأحزاب ، الآية ٦٢

يتطـور ويتغيـر بحسـب المـدعوين ، وتبعـاً لظـروفهم وأحـوالهم ومسـتوياتهم . وإذا كـان الأصـل فـي المنـاهج الربانيـة الثبـوت والاستمرار وعدم التحول ، فإن الأصل في الأساليب والوسائل والمناهج البشرية التطور والتحول إلى ما يناسب كل عصر وبيئة .[١]

٤-المحافة على شرعية المناهج والأساليب والوسائل ، فعلى المسلم أن يتجنب الحرام ، ولو توهم أن فعله قد يوصله إلى خير ، كما عليه أن يفعل الواجب . وإن توهم أن تركه يدفع عنه شراً ، فإن الشر لا يأتي بالخير ، وفي الحديث :"تحروا الصدق ، وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإن فيه النجاة"[٢] وفي رواية – أخرى بزيادة :"واجتنبوا الكذب ،

وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة "[٣] ولا يتعارض هذا مع ما ورد من ترخيص بالكذب في بعض المواطن – كاستثناء من حكم عام – كما في الحديث :"ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فينمي خيراً أو يقول

---

[١] الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي ، محمد رأفت سعيد ، مرجع سابق ص ١٥ ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٧ .

[٢] مكارم الأخلاق ، عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، الرياض د . ت ٥١/١ رقم الحديث ١٣٧ ، وينظر ضعيف الترغيب والترهيب الترغيب والترهيب للمنذري :عبد الحليم بن عبد القوي المنذري زكي الدين محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، رقم الحديث ١٧٤٥ ، ١٣٦/٢ .

[٣] المصدر السابق نفسه

خيراً" [١] وفي رواية لمسلم بزيادة قالت أم كلثوم " ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث ، تعني : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها " .

٥-التوسط الاعتدال في التمسك بالدين والبعد عن الغلو والتشدد ، وتجنب التقصير والتساهل . وفي الحديث "هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً"[٢] وفي الحديث أيضاً: "إن الدين يسر فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدجلة"[٣]. وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه: "يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم"[٤]

٦- الرجوع في حكم المسائل المستجدة إلى أهل العلم والاختصاص، لتحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا

---

[١] متفق عليه ، صحيح البخاري ، مصدر سابق ، باب ليس الكذاب الذي يصلح الناس حديث رقم ٢٥٦٧ ، ١٩٤/٩ ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، باب تحريم الكذب وبيان مايباح منه ، حديث رقم ٤٨٢٢ ، ١٠/١٣ .

[٢] صحيح مسلم، مصدر سابق، حديث رقم ٤٨٤٣، ١٤٥/١٣، قال النووي: المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضع التشدد المنهاج شرح صحيح، مسلم بن حجاج، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ت٦٧٦هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، حديث رقم ٢٦٧٠، ٢٢٠/١٦.

[٣] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب الدين يسر، رقم الحديث ٣٨، ٤٩/١.

[٤] سنن ابن ماجه، مصدر سابق، ١٣٤/٩.

لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾.[١]

وفي الحديث: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقى عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[٢]

المبحث الرابع
حجية الفكر الإسلامي

لقد نزل الوحي القرآني على مجتمع واقعه يقوم على التبعية والتقليد لما تعارف عليه الآباء والأجداد من تراث منظم لشؤون حياتهم، أكثر من قيامه على الاستقلالية الفكرية والعقلية، لسن ما فيه صلاح المجتمع من قوانين وأعراف منظمة لحياتهم في مختلف نواحيها الداخلية منها، وعلاقاتها الخارجية، قال تعالى مخبراً عن هذه الروح التقليدية للمجتمع الجاهلي: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾.[٣] وقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾.[٤]

---

[١] سورة النحل الآية: ١١٦.

[٢] متفق عليه، صحيح البخاري، مصدر سابق، باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث ١٠٠، ١/١٧٥، صحيح مسلم، مصدر سابق، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم ٤٩٣٤، ١٣/١٥٥.

[٣] سورة البقرة الآية: ١٧٠.

[٤] سورة الزخرف الآية: ٢٢.

فمجتمع يعيش بمثل هذه التصورات المعطلة للعقل الجامد على معتقدات الآباء والآجداد، لا شك أنه لن يتقبل هذه الرسالة الجديدة التي نزلت بين ظهرانيهم، الرسالة التي تدعوهم إلى حقائق الإيمان التي لم يألفوها من قبل، وتنوع فيها خطاب الوحي في الاستدلال العقلي على إثبات المسائل الإيمانية، تربية له لكي يتحرر من النظرة السطحية للحياة ومكوناتها، وعدم الجمود فيها على الأفكار القائمة على العبثية وعدم التقييد والتكبيل لملكة العقل التي ميزت الإنسان عن سائر الحيوانات والمخلوقات الأخرى، فميزت هذه الرسالة بما فيها من تناغم نص الوحي والعقل.

وقد ثبتت حجية الفكر والتفكير في الإسلام على طرق الاستدلال في الكتاب والسنة والمعقول نبحثها في المطالب التالية:

المطلب الأول: القرآن الكريم

أكد القرآن الكريم أهمية الفكر من خلال ثماني عشرة آية كريمة[1]، وهناك آيات وردت فيما يتصل بالفكر وأعماله مثل: زكر، فقه، تدبر.... تجاوزت المائة آية في القرآن الكريم، وهذا يدل على اهتمام القرآن العظيم بالعقل والحض على التفكير، وهو عندما يريد خطاب مطلق العقل فإنه

---

[1] سورة البقرة الآية: ٢١٩و ٢٦٦، سورة آل عمران الآية: ١٩١، سورة الأنعام الآية: ٥٠، سورة الأعراف الآية: ١٧٦و ١٨٤، سورة يونس الآية: ٢٤، سورة الرعد الآية: ٣، سورة النحل الآية: ١١و ٤٤و ٦٦، سورة الروم الآية: ٨و ٢١، سورة سبأ الآية: ٤٦، سورة الزمر الآية: ٤٢، سورة الجاثية الآية: ١٣، سورة الحشر الآية: ٢١، سورة المدثر الآية: ١٨.

يصـغ هذا الخطـاب فـي صـيغة أولـوا الألبـاب لكـي يـدخل العقل الرشـيد والعقل الحكيم، والعقل المدرك.[١]

وقد دعا القرآن إلـى التفكر بأساليب شتّى، وفـي كل المجالات، فيما عدا التفكر في الله تعالى، إذ التفكر في ذاته سبحانه تبديد لطاقة العقل فيما لا يمكنـه إدراكـه، فحسبه أن يفكر فـي مخلوقاتـه فـي السماوات والأرض وفـي نفسـه، يقـول سـبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.[٢] ويقـول جلالـه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.[٣]

فتفكر هؤلاء من أولـي الألباب فـي خلق السماوات والأرض وما فيهما من روعة النظـام، ودقة الأحكام، هداهم إلـى أن الله مـا خلقهمـا إلا لحكمـة، لم يخلقهمـا لغبـاً ولا عبثـاً ولا بـاطلاً، ولهـذا قـالوا: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾.[٤]

بل ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ

---

[١] تـاريخ الفكر الفلسـفي فـي الإسـلام، محمد علـي أبـو ريـان، دار الجامعـة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤م، ص٥٥.
[٢] سورة الروم الآية: ٨.
[٣] سورة آل عمران الآية: ١٩٠_١٩١.
[٤] سورة آل عمران الآية: ١٩١.

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[1] وكذلك ينبغي للعقل أن يتفكر في آيات الله تعالى في أرضه وسمائه، وفي شمسه وبحره ونجومه، وفيما تشتمل عليه الأرض من حيوان ونبات، وجبال وأنهار وبحار.

يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[2]

ويقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[3] وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[4] وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[5] فالكون كله، بما فيه ومن فيه: مجال رحب للفكر، ولا يقف التفكر عند الجوانب المادية، بل يتجاوزها إلى الجوانب المعنوية، كما في العلاقة بين المرء وزوجه، التي اعتبرها القرآن آية من آيات الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

---

[1] سورة الدخان الآية: ٣٨_٣٩.
[2] سورة الرعد الآية: ٣.
[3] سورة النحل الآية: ١٠_١١.
[4] سورة النحل الآية: ٦٨_٦٩.
[5] سورة الجاثية الآية: ١٣.

لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[١]

فمن آيات الله تعالى أن خلق للإنسان من جنسه زوجاً يسكن إليها، كما تسكن إليه، كما ربط بينهما بوشائج الودّة والرحمة، حتى يصبح أحدهما وكأنه جزء من صاحبه: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾.[٢]

ومن هذه الجوانب: صنع الله في الأنفس عند النوم، وعند الموت: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[٣]

فالنوم هو الموتة الصغرى، والموت هو النومة الكبرى، ومن ذلك: التفكر فيما يضرب الله من أمثال، يقرّب بها المعاني، ويجعل المعقول في صورة المحسوس، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[٤]

ومن ذلك المثل الذي ضربه تعالى في سورة يونس بقوله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ

---

[١] سورة الروم الآية: ٢١.
[٢] سورة البقرة الآية: ١٨٧.
[٣] سورة الزمر الآية: ٤٢.
[٤] سورة الحشر الآية: ٢١.

أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[1]

ومن ذلك: المثل الذي ضربه الله تعالى لمن لم يعمل بعمله، ومثّله بالكلب، يقول تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[2]

وكما أن الآيات الكونية مجال التفكر، فإن الآيات التنزيلية هي مجال آخر للتفكر، تلك آيات مشهودة منظورة، وهذه آيات مسموعة ومقروءة.[3]

يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.[4] ويقول تعالى بعد ضرب المثل للمنفق المرائي بمن احترقت جنته أحوج ما كان إليها هو وذريّته الضعفاء: ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.[5] قال البقاعي في تفسيره نظم الدرر: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾. أي:

---

(١) سورة يونس الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأعراف ١٧٥ـ ١٧٦.
(٣) العقل والعلم في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص٣٤.
(٤) سورة البقرة الآية: ٢١٩.
(٥) سورة البقرة الآية: ٢٦٦.

ليكون حالكم حال من يرجى أن يحمل نفسه على الفكر، ومن يكون كذلك ينتفع بفكره[١]، فتبنون الأمور على تثبيت، لا خير في عبادة إلا بتفكر، كما أن الباني لا بد أن يفكر في بنائه، كما قال الحكيم: أول الفكرة آخر العمل، وأول العمل آخر الفكرة، كذلك من حق أعمال الدين ألا تقع إلا بفكرة في إصلاح أوائلها السابقة، وأواخرها اللاحقة، فكانوا في ذلك صنفين، بما يشعر به ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ مطابقين للمثل، متفكر مضاعف حرثه وجنّته، وعامل بغير فكرة، تستهويه أهواء نفسه، فتلحقه الآفة في عمله، في حرثه وجنّته من سابقة أو لاحقة.[٢]

ومن هنا نرى كثرة الآيات أو الدلائل التي نصبها الله في الكون لهدي عباده إليه، وتدلهم على الحق الذي أنزل الله به كتبه، وبعث به رسله، ويقول سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.[٣]

ويقول عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.[٤]

---

[١] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي ت٨٨٥هـ ، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، د.ط ، د.ت ، ٨٨/٤، وما بعدها.

[٢] مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن الأندلسي الحرالي، ت٦٣٨هـ ، منشورات المركز العالمي للبحث العلمي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ٨٩/٤.

[٣] سورة النحل الآية: ٤٤.

[٤] سورة الأنعام الآية: ٥٠.

وهذا تحريض على التفكر وخصوصاً في أمر الوحي وإثبات النبوة، والتحقق من أمر محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.[١]

وهناك مجال آخر للتفكر، وهو الأمثال التي يضربها الله للناس، ووراءها من العبر وما وراءها، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[٢]

وسبب تكثير الأدلة كما يقول الإمام البقاعي في تفسيره: أن عقول الناس متفاوتة، فجعل سبحانه وتعالى العالم_ وهو الممكنات الموجودة_ وهي جملة ما سواه، الدالة على وجوده وفعله بالاختيار على قسمين: قسم من شأنه أن يدرك بالحواس الظاهرة، ويسمى في عرف أهل الشرع: الشهادة والخلق والملك، وقسم لا يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى: الغيب والأمر والملكوت، والأول: يدركه عامة الناس، والثاني: يدركه أولو الألباب الذين عقولهم خالصة من الوهم والوساوس، فالله سبحانه وتعالى بكمال عنايته ورأفته ورحمته جعل العالم بقسميه محتوياً على جمل وتفاصيل من وجوه متعددة، وطرق متكثرة، تعجز القوى البشرية عن ضبطها، يستدل بها على وحدانيته، بعضها أوضح من بعض، ليشترك الكل في المعرفة، فيحصل لكل بقدر ما هيىء له، اللّهم إلا أن يكون ممن طبع على قلبه، فذلك _والعياذ بالله سبحانه وتعالى_ هو الشقي[٣]

---

[١] سورة الأعراف الآية: ١٨٤.
[٢] سورة الحشر الآية: ٢١.
[٣] نظم الدرر البقاعي، مصدر سابق، ٣٠٠/٢ وما بعدها.

المطلب الثاني: السنة النبوية

من نصوص السنة النبوية يمكن أن نستقرأ دلالات واضحة على حجية الفكر، وعلى ضرورة اعمال العقل بالتفكير والاجتهاد والاستنباط، بل هناك دعوة واضحة على التدبر والتأمل والنظر في النصوص ولا سيما الظنية الدلالة منها، وهذا ما فهمه الصحابة من خلال واقعهم الذي عاشوه مع حضرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، إذ كانوا يسألونه في _أحياناً_ هل المسألة من قبيل الوحي والتنزيل أم هي قابلة للتفكير والرأي؟

ومن الأمثلة على ذلك:

ما حصل في غزوة بدر الكبرى ثم أنهم قضوا _المشركين_ حتى نزلوا بالغدوة القصوى من الوادي، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى ماء من مياه بدر، فقال الخباب بن المنذر: يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة، فقال: فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوّر ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحول إلى المكان آخذاً بالرأي الذي أشار به الخباب رضي الله عنه.[١]

---

[١] الأصالة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين أبو الفضل الكناني العسقلاني، الشهير بابن الحجر ت٨٥٢هـ ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩م، ٣٠٢/١.

وكذلك ما حدث عندما شاور أصحابه قبيل معركة أحد وخيرهم بين الخروج لملاقاة عدوهم وقتالهم أو البقاء في المدينة فإن دخلوا عليهم فيها قاتلوهم.

وكذلك ما حصل في غزوة الخندق عندما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة سلمان الفرسي بحفر الخندق، فأعجب ذلك المسلمين، فخرجوا من المدينة وعسكر بهم رسول الله ﷺ في سفح جبل فجعلوه خلفهم، وراحوا يحفرون الخندق بينهم وبين العدو، فتفاجأ المشركون بالخندق حينما وصلوا إليه، وقالوا إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، كما وأخذ رسول الله ﷺ بالفكرة التي أبداها كل من الصحابيين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما وعندما أراد مصالحة قبيلة غطفان على ثلث ثمار المدينة كي ينصرفوا عن قتال المسلمين، فقالا له: يا رسول الله، أهو أمر تحبه فنصنعه، أو شيء أمرك به الله، أم شيء تصنعه لنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بل شيء أصنعه لكم لكي أكسر عنكم من شوكتهم، وحينئذ قال له سعد بن معاذ: والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: فأنت وذاك[١]، وأقر رسول الله ﷺ اجتهاد الصحابة

---

[١] السيرة النبوية سيرة ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعامري ت٢١٣هـ ، المكنبة التوفيقية، مصر، ١٩٧٨م، ٢٢٣/٢، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري، أبو جعفر ت٣١٠هـ ، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ٥٧٣/٢، فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١٠، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص٢٢٨.

في أمور الدين، عندما قال لهم: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريضة [١].

فسار الناس، فادرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ولم يرد من ذلك، فذكر ذلك الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعنف أحداً منهم[٢]، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل فقال: كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ فقال: أقضي بكتاب الله، قال وإذا لم تجد بكتاب الله، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله، قال: اجتهد ولا آلوا، ففرح رسول الله ﷺ لذلك فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه ويرضى[٣].

وهناك أحاديث كثيرة يمكن من خلالها الاستدلال على حجية الفكر الإسلامي في السنة النبوية الشريفة منها:

١_ قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيباً يقول سمعت النبي ﷺ يقول: من الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لما يضرهم من خالفهم، حتى

---

[١] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب الصلاة الطالب والمطلوب راكب وايماء، ٤٩٩/٣.

[٢] السيرة النبوية، لابن هشام، مصدر سابق، ٢٥٢/٣.

[٣] سنن ابن داوود، مصدر سابق، ٣٥٣/٣، اعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ٢٧٢/١.

يأتي أمر الله [١]، فهذا الحديث يحث على التفقه في الدين، والفقه هو العلم والفهم.

٢_ وقال ﷺ: ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه [٢].

وهذا الحديث جعل السعي في طلب العلم طريقاً وسبيلاً إلى الجنة، كما جعل التدار سفي كتاب الله سبباً في نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحضور الملائكة وغيرها من الفضائل والخيرات.

٣_ عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ : لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً، فسلّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يفضي بها، ويعلّمها [٣]، في هذا الحديث يحض النبي ﷺ المسلمين على التنافس في طلب العلم وتعلمه، وتعليمه، والدعوة إلى المسابقة في ذلك.

---

[١] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم ٦٩، ١٢٦/١.

[٢] صحيح مسلم، مصدر سابق، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم ٤٨٦٧، ٢١٢/٣.

[٣] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم ٧١، ١٣٠/١.

٤_ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثلاثاً، وإياكم وهيشات الأسواق [١].

يحث الرسول ﷺ على تقديم أولى الأحلام والنهى أي أصحاب العقول الراجحة خلف الإمام، ويحذرهم من المنازعات والخلافات وارتفاع الأصوات.

٥_ عن أنس أن النبي ﷺ مر بقوم يلقّحون، فقال: لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شبيصاً[٢]، فمرّ بهم، فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم[٣].

ففي هذا الحديث دلالة على أن العلم ما يحتاج إلى اكتساب أو تعلم، وهو نتائج الخبرة في هذه الدنيا والخبرة ترجع إلى العقل، وفيه دعوة إلى الأخذ بالأسباب.

٦_ عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره، وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه، قال: أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس بذي الحجة؟ قلنا بلى، قالﷺ: فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في

---

[١] صحيح مسلم، مصدر سابق، باب تسوية الصفوف وإقامتها، حديث رقم ٦٥٥، ٤٢٦/٢.

[٢] شبيصاً: التمر الرديء، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، مصدر سابق، ١١٨/١٥.

[٣] صحيح مسلم، مصدر سابق، باب فضل النظر إليه ﷺ، حديث رقم ٤٣٥٨، ٥٤/١٢.

شهركم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه [١].

هذا الحديث يبين تفاوت الناس، واختلافهم في الفروق الفردية، فرب مبلغ لم يسمع الحديث مباشرة يكون أوعى له من سامع، وأفقه لمعانيه.

وفي هذا الحديث من الفوائد الحث على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه، وفيه جواز القعود على ظهر الدواب، وهي واقفة إذا احتيج إلى ذلك.[٢]

٧_ عن أبي موسى عن النبي ﷺ، قال : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا، وسقوا، وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك الماء، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به، قال أبو عبد الله: قال إسحاق: وكان منها طائفة قيلت الماء قاع، يعلوه الماء والصفصف المستوى من الأرض [٣].

---

[١] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، حديث رقم ٦٥، ١١٨/١.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محي الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ت ، ١٥٩/١.

[٣] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب فضل من علم وعلّم، رقم الحديث ٧٧، ١٤١/١.

قوله قيعان بكسر القاف جمع قاع وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت[١]، قوله فقه بضم القاف أي صار فقيهاً.[٢]

لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وانبتت، فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء، فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله: "نضر الله أمراً سمع مقالتي، فأداها كما سمعها"، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة الملساء، التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها، وهذا يبين الفروق الفردية بين الناس، فمنهم من ينتفع بالعلم وينفع غيره، ومنهم من لا ينتفع به وهو مجرد ناقل لغيره، لينتفع به.[٣]

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ٣٠٤/١.

[٢] المصدر السابق نفسه، ٥٢٢/١٣.

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ١٧٧/١.

٨_ عن أنس عن النبي ﷺأنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم منه، وإذا أتى على قوم، فسلم عليه سلم عليهم بثلاثاً.[١]

كان النبيﷺ يحرص على أن يكرر الكلام ثلاثاً ليفهم عنه، وهذه دعوة لمراعة الفروق الفردية، والحرص على تبليغ العلم بطريقة يفهمها الناس.

٩_ قال علي رضي الله عنه: حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله[٢].

دعوة على مراعاة الفروق الفردية، وعدم مخاطبة الناس بما لا يعرفون، ولا تطيقه أفهامهم.

١٠_ عن أبي شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أم سلمة أخبرته، أن أمها أم سلمة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أخبرتها عن رسول الله ﷺ، أنه سمع خصومةً بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها.[٣]

هذا الحديث يبين فيه ﷺ تفاوت الناس في الملكات الفردية والقدرات، فبعض الناس ألحن في حجته، وأقدر على الإقناع من خصمه، ولكن

---

[١] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب من أعاد الحديث ثلاثاً، رقم الحديث ٩٢، ١٦٩/١.

[٢] المصدر السابق، باب من ترك بعض الاختيار ومخافة أن يقصر، رقم الحديث ٢٤، ٢١٧/١.

[٣] صحيح البخاري، مصدر سابق، باب إذا أذن الإنسان الأمر جاز، حديث رقم ٢٢٧٨، ٣٣٨/٨.

رسول الله ﷺ أرشد من كان كذلك أن يعود إلى رشده ولا يقبل الحرام، وليستخدم تلك الملكات في الخير ومصلحة الإسلام.

المطلب الثالث: العقل

تبدو أهمية العقل فيما ينتجه من أفكار، لذا رجح علماء الإسلام حجيته في مجاله، فعملوا به وجعلوه بضوابطه وأصوله مصدراً من مصادر الفكر والاجتهاد[١]، وقد حمدت العلماء بحسن التثبت في أوائل الأمور واستفهامهم بعقولهم ما تجيء به العواقب، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدباوها، وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم [٢].

وتأسيساً على هذا وبعون الله تعالى سنبحث موضوع العقل من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح.

أولاً: مفهوم العقل في اللغة

تدل مادة "عقل" في اللغة العربية على حالة حبس وتقييد، قال ابن فارس: العين والقاف واللام واحد منقاس، يدل عل حبسه في الشيء، أو ما يقارب الحبسة.[٣]

---

[١] دراسات في الفكر الإسلامي، محمد حسين عبد الله، مرجع سابق، ص٦٥.

[٢] رسائل الجاحظ رسالة المعاش والمعاد ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ت٢٥٥هـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، ٩٥/١.

[٣] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مصدر سابق، ٦٩/٤.

فالعقل حبس أو وضع، ومنه عقال البعير الذي يمنعه من الانفلات، والمعقل: الذي يلجأ إليه الناس فيمنعهم من عدوهم ونحوه وعلى هذا سمى العرب ما في الإنسان عقلاً لأنه يمنعه من أشياء لولاه لانساق إليها الإنسان، قال في تهذيب اللغة "سمى عقل الإنسان الذي فارق به الحيوان عقلاً، لأنه يعقله، أي يمنعه من التورط في الهلكة، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه.[١]

العقل: المنع، ولهذا يمنع النفس من فعل ما تهواه، مأخوذ من عقال البعير، المانع له من السير حيث شاء، وهو أصل لكل عام، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه من العدول عن سواء السبيل[٢]، وهو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب[٣].

ومعنى العقل هو العلم، لا فرق بينهما لأنه عند أهل اللغة وأرباب اللسان بين قوهم: علمت وعقلت، فسيعلمون العلم والعقل على حد واحد، وفي معنى واحد، ويقولون: هذا أمر معلوم ومعقول، ويقولون: أعلم ما تقول، وأعقل ما تقول[٤]

وهو ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات[٥]

---

[١] مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرفون، فرجينيا، الولايات المتحدة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص٣٠١.

[٢] كتاب العين، أبو عبدالحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار المعرفة، ١٥٩/١.

[٣] النزعة العقلية عند الإمام الشافعي، محمد إبراهيم الفيومي، منشورات جامعة الأزهر، ص ٤٢٣.

[٤] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ص ٦١٧.

[٥] المرجع السابق نفسه.

ثانيا : مفهوم العقل في الاصطلاح

إن تفسير القدماء والمعاصرين من رجالات الفكر الإسلامي متقاربة وكلها تدور حول معنى واحد هو وظيفة العقل

١-إن العقل يعني العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب وحديثاً يعرف العقل بأنه: مجموع السلوك الذي يتضمن التذكر والتفكير

والإدراك، وكثيراً ما يستعمل مرادفاً للخبر الشعورية[١]

٢-إسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ وهذا النوع من المعرفة ليس الناس فيه سواء فله مستويات ودرجات أربع، فإذا كان المرء في أول درجاتها سمي أديباً، وفي الثانية أريباً، والثالثة لبيباً، وفي الرابعة عاقلاً، وإذا أردنا تشبيها لمصطلحات ومستويات عصرنا الحاضر فسوف نجد على التوالي: المتعلم ، والباحث، والعالم والمفكر[٢]

٣-ويعرف العقل بأنه الجوهر المجرد الذي تدرك به حقائق الأشياء. إن هذا التعريف يفيد أنه قوة حكيمة، وله جانب تجريبي أيضاً، العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعمل الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة العقل، والمقصود من العقل الأول هنا هو العقل الذي يوجد في الإنسان بالطبع ويدرك العلل والمعلولات بين

---

[١] تطور الفكر التربوي، فيصل الراوي رفاعي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م، ص ١٠١ وما بعدها.

[٢] بحوث في التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، مركز التنمية البشرية والمعلومات، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٩٢ وما بعدها

الحوادث، وهو قوة للإدراك والتصور والتفكير، وهذا ما يسمى بالعقل، والطبع السليم، وبحسب ما يعرفه الفلاسفة المسلمون والغربيون على العموم هذا هو العقل النظري، العقل بالقوة، والعقل الثاني هو الذي يكتسبه الإنسان عن طريق الحواس والتجربة، العقل بالفعل، وهذا الأخير شائع بين القاس بالتجربة أيضاً[١].

٤-معنى العقل: هو الحركة التي ينتقل بها الإنسان من شاهد إلى مشهود، ومن دليل إلى مدلول عليه، ومن مقدمة إلى نتيجة تترتب عليها، ومن وسيلة إلى نهاية تؤدي غليها تلك الوسيلة، فإذا لم يكن هناك انتقال من خطوة إلى خطوة تتبعها فلا عقل، وإذا تم إدراك شيء دون أن ينتقل المرء من هذه الحالة الإدراكية إلى حالة تليها، ويتوقف عليها فلا عقل[٢] ونفهم نم هذا أن حد العقل هن أن ينتقل الإنسان من معلوم إلى مجهول، ومن شاهد إلى غائب ومن ظاهر إلى خفي خبئ، ومن حاضر إلى مستقبل لم يحضر بعد أمام البصر وإلى ماضي ذهب وانقضى ولم يعد مرئياً مشهوراً، ومن ثم كان العقل هو الذي يتعقب الحدث إلى أسبابه أو إلى نتائجه، وفي الحالة الأولى تبرر راجعاً من الحدث الظاهر إلى

---

[١] علاقة الوحي بالعقل، عثمان قره دنيز، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، العدد ٤ لسنة ١٩٩٨، ص ٢١٣، وما بعدها.

[٢] تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، دار الشروق، بيروت، ص ٣١٠ وما بعدها، الفكر الإسلامي بين العقل والوعي وأثره في مستقبل الإسلام، د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق بيوت، ط/١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، ص ٩ وما بعدها.

عله حدوثه وقد اختفت، وفي الحالة الثانية يتشوف المستقبل قبل حدوثه مرتكزا في ذلك على الحدث الحائل في لحظته الراهنة.

الفرع الثاني: مكانه العقل والفكر في القرآن الكريم

لقد رفع القرآن الكريم من شأن العقل فكثير من الآيات القرآنية تطلب التحلي به والتمسك به والسير في طريقه.

وقد حاولت أن أحصر ورود كلمة عقل التي تقدم عليها تصرفات الإنسان، وتفسر سلوكه في الحياة فوصلت إلى ما يأتي:

١-جاءت كلمة ع ق ل في القرآن الكريم تسعاً وأربعتين مرة كلها- إلا واحدة- جاءت بصيغة الفعل المضارع، وخصوصاً ما اتصل به واو الجماعة تعقلون و يعقلون.

ففعل تعقلون تكرر في القرآن الكريم ٢٤ مرة وفعل يعقلون تكرر ٢٢ مرة، وفعل عقل ونعقل و يعقل جاء كل منها مرة واحدة.

٢-صيغة عقلوه جاءت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [١]

٣-صيغة أفلا تعقلون؟:

ومن أبرز ما جاء هنا: صيغة الاستفهام الإنكاري الدالة على التحريض والإلهاب، تلك الصيغة المنكرة الملهبة المحرضة أفلا تعقلون؟! وقد ذكرت في القرآن ثلاث عشرة مرة.

---

[١] سورة البقرة/ الآية: ٧٥.

منها: قوله في خطاب بني إسرائيل وتقريعهم: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [١]

فإن عمل الإنسان بضد ما يعلم، وضد ما يأمر به غيره، لا يصدر عن إنسان سوي في عقله، ناضج في فكره، إنما هو ضرب من الجنون!

ومنها: قوله سبحانه في محاجة أهل الكتاب في شأن إبراهيم، ومحاولة ضمه إليهم بوصفه يهودياً أو نصرانيا ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [٢]

فكيف ينسب السابق إلى اللاحق، والمتقدم إلى المتأخر؟ إلا عند من فقد عقله!!

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣]

وجاء مثلها بعد الحديث عن بني إسرائيل الذين باعوا المُثُل العليا بالعرض الأدني. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٤]

ومثلها : ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٥]

---

[١] سورة البقرة/ الآية: ٤٤.
[٢] سورة آل عمران/ الآية: ٦٥.
[٣] سورة الأنعام/ الآية :٣٢
[٤] سورة الأعراف/ من الآية: ١٦٩
[٥] سورة يوسف/ من الآية : ١٠٩.

فالموازنة بين دار الدنيا والدار الآخرة، ترجح كفة الآخرة، لأن متاع الدنيا قليل وزائل، وفي الصحيح: ما الدنيا في الآخرة إلى كما يجعل أحدكم إصبع في اليم، فلينظر بماذا يرجع[١]

فكيف يتصور أن ترجع كفة الدنيا على الآخرة، إلا عند من لا يعقلون؟!!

ومنها: قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[٢]

فقد أمره الله أن يبين لهم أنه مبعوث بهذا القرآن بمشيئة الله لا بمشيئته هو، فقد لبث فيهم أربعين سنة من قبل، ما ادعى فيها أنه تكلم عن الله، ولا أن وحياً ينزل عليه، فكيف يعقل أن يكذب الصدوق بعد أربعين سنة؟ وأن تتعثر سيرة المستقيم فجأة، فينحرف ويفجر، بلا سبب ولا مبرر، وهو بين أظهرهم يعرفون مدخله ومخرجه، وجلوته وخلوته!

ومنها: قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾[٣]. فهو يمن على العرب بالقرآن الذي نزل بلسانهم، وفيه ذكرهم وشرفهم أو فيه تذكيرهم بربهم ورسالتهم ومصيرهم – أفلا يعقلون ويدركون قيمة هذه النعمة العظمى؟[٤]، ومنها قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا ﴾[١]

---

[١] صحيح مسلم، مصدر سابق، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث رقم ٥١٠١، ١٤/ ١٤.

[٢] سورة يونس/ الآية: ١٦.

[٣] سورة الأنبياء/ الآية: ١٠.

[٤] تفسير القرآن الكريم تفسير ابن كثير، عماد الذين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة ،

وفي الآية لفت إلى عمل الله تعالى في الكون، وأبرزه الإحياء والإمات، والمخالفة بين الليل والنهار، فهذه من آيات الله الدالة على عموم قدرته، وشمول مشيئته، وبالغ حكمته، لمن كان لديه عقل يعي، ويتدبر، أفلا تعقلون بعد ذلك أيها المكابرون والجاحدون؟!

ومنها: قوله تعالى بعد حديث عن قوم لوط، وكيف دمر الله عليهم قريتهم، وجعل عاليها سافلها، ثم قال: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [٢]

وجاءت هذه الصيغة: ﴿ فلا تعقلون ﴾ مرة على لسان هود، وأخرى على لسان إبراهيم عليهما السلام.

فعلى لسان هود عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣]، يعني أن الذي لا يطلب على دعوته أجرا، ولا يبغي جزاءً لا يكون متهما لدى من يعقلون.

وإبراهيم عليه السلام يقول لقومه – حين سألوه عمن حطم أصنامهم– ساخراً منهم: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ

دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط/٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٢٣٨/٣.

[١] سورة المؤمنون/ الآية: ٨٠.

[٢] سورة الصافات/ الآية: ١٣٧و ١٣٨.

[٣] سورة هود/ الآية: ٥١.

شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1]

ومن عبد من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره من الأحجار القابلة للكسر حتى تكون جذاذاً ، والتي لو سئلت لا تنطق ولا تجيب، فليس أهلاً أن يكون في زمرة من يعقلون.

وقريب من هذه الصيغة قوله تعالى بعد حديث عن الشيطان والتحذير منه: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ [2]

وجاءت الصيغة الإنكارية بفعل الغائب لا فعل المخاطب في قوله تعالى:

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [3]

- كلمة تعقلون في القرآن :

وتكررت هذه الكلمة تعقلون ٢٤ مرة في القرآن مرتبطة ب الآيات التي بينها الله تعالى ووجوب تعقلها، سواء أكانت آيات منزلة مسطورة أم آيات مخلوقة منظورة. ويبدو من السياق في معظمها أن المقصود بها الآيات المنزلة من الله تعالى، كما في قوله سبحانه:

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [4]

---

[1] سورة الأنبياء/ الآية : ٦٣- ٦٧.
[2] سورة يس/ الآية: ٦٢.
[3] سورة يس/ الآية: ٦٨.
[4] سورة البقرة/ الآية: ٢٤٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢)

﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)، وربما كان المقصود منها هنا الآيات الكونية (٤)، لأنها جاءت بعد قوله: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ ﴾ (٥)

ومثل ذلك قوله تعالى في الوصايا العشر من سورة الأنعام: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٦)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧)

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ١١٨.
(٢) سورة النور/ الآية : ٦١.
(٣) سورة الحديد/ من الآية : من١٧.
(٤) العقل والعلم في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص ١٦ وما بعدها.
(٥) سورة الحديد/من الآية: ١٧.
(٦) سورة الأنعام/ الآية: ١٥١.
(٧) سورة يوسف/ الآية: ٢.

فقد أنزل الله القرآن بلسانهم ليعقلوه بأفئدتهم، لا لمجرد أن يسمعوه بآذانهم، دون أن يفكروا فيه ويتدبروه[٢]

- كلمة يعقلون:

وجاءت هذه المادة بصيغة فعل المضارع للجمع الغائب يعقلون اثنتين وعشرين مرة، منها ١٠ صيغ بدون نفي و ١٢ صيغة جاءت منفية بلا الثانية لا يعقلون ذم للذين لا يستخدمون عقولهم التي وهبهم الله تعالى، بل يعطلونها جموداً أو تقليداً أو جحوداً.

قال تعالى في الرد على المقلدين لآبائهم في شركهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٣]

وقوله في تصوير حال هؤلاء : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤].

فهم أشبه بالقطيع من الأنعام التي ينعق فيها راعيها، فلا تسمع منه إلا صوتا، ولا نعي حقيقة ما يقول، فقد عطلوا أدوات المعرفة عندهم، فلا تسمع آذانهم الحق، ولا تنطق ألسنتهم به، ولا تراه أعينهم. فهم إذن صم بكم عمي فهم لا يعقلون![٥]

---

[١] سورة الزخرف/ الآية: ٣.
[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مصدر سابق، ٧/ ٢١٨.
[٣] سورة البقرة/ الآية : ١٧٠.
[٤] سورة البقرة/ الآية: ١٧١.
[٥] صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف، وزارة الأوقاف والشؤون العلمية، الكويت، ط/٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٣٩.

وقال تعالى في وصف الصادين عن الحق من أهل الكتاب : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١)

لأن هذا الذي يسخر من نداء الصلاة، الداعي إلى الوقوف بين يدي الله، ويتخذها هزواً ولعباً، لا يمكن أن يكون عاقلاً.

وقال تعالى في بيان أباطيل المشركين وما فعلوه في تحريم ما أحل الله من الأنعام: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى في وصف المشركين الذين انحط بهم الشرك عند درجة الإنسانية لما ألغى من عقولهم ومداركهم ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٣)

وقال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤)

فهم يستمعون إليه بآذانهم وعقولهم غائبة، فهم في حقيقة أمرهم صم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٨ .
(٢) سورة المائدة/ الآية: ١٠٣.
(٣) سورة الأنفال/ الآية: ٢٢
(٤) سورة يونس/ الآية: ٤٢.
(٥) سورة يونس/ الآية: ١٠٠

وقال عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

وقال تبارك وتعالى يخاطب رسوله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وما ذلك إلا لأنهم لم يتأدبوا بما ينبغي في مخاطبة صفوة الرسل، وسيد الخلق، ولم يصبروا قليلاً حتى يخرج إليهم.

وقال سبحانه في وصف اليهود: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣)، إذ العقل الواعي يقتضي من أهله أن تجتمع قلوبهم على هدف واحد، ومنهج واحد، لا أن تجتمع أجسامهم وقلوبهم متفرقة.

وجاءت كلمة يعقلون مثبتة، ولكنها منفية معنى، لأنها جاءت بعد صيغة الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (٤)

وأما المثبت من هذه الصيغة يعقلون فجاء في مقام التأمل لآيات الله الكونية، المبثوثة في عوالم الأفلاك والجماد والنبات والحيوان والإنسان.

---

(١) سورة العنكبوت/ الآية: ٦٣.
(٢) سورة الحجرات/ الآية: ٤.
(٣) سورة الحشر/ الآية: ١٤.
(٤) سورة الفرقان/ الآية: ٤٣و ٤٤.

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١)

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢)

وقوله سبحانه: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤)

وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٥)

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٦٤.
(٢) سورة الروم/ الآية: ٢٤.
(٣) سورة الجاثية/ الآية: ٥.
(٤) سورة الرعد/ الآية: ٤.
(٥) سورة النحل/ الآية: ٦٦ و ٦٧.

وقولـــــه تعـــــالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (١)

وقوله سبحانه وتعالى في قصة قوم لوط: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥ ﴾ (٢)، فالعقل مطلوب هنا للاعتبار بالتاريخ وأيام الله فيه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (٣)

فليس المهم أن تسير في الأرض، وأن تجوبها من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وأن تطلع على آثار الأمم فيها، إنما المهم أن يكون لك قلب يعقل ويبصر، وأذن تسمع وتعي.

وفي مقام آخر يقول تعالى:﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (٤)

وبهذا غطى العقل كل الجوانب: الكون علويه وسفليه، الإنسان بحاضره وماضيه، آيات الله الكونية والتنزيلية، فمن لم يستخدم عقله في هذه النواحي كلها، كان خليقاً ألا يهتدي إلى الحق، وأن يسير في ركاب أهل

---

(١) سورة النحل/ الآية: ١٢.
(٢) سورة العنكبوت/ الآية: ٣٥.
(٣) سورة الحج/ الآية: ٤٦.
(٤) سورة الروم/ الآية: ٢٨.

الضلال والإضلال[١]، وأن يقول مع أهل الشقاء في النار يوم القيامة ما حكاه الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾[٢]

٤- ووردت صيغة تعقل مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[٣]

٥- ووردت صيغة يعقلها مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٤].

ومن هدي القرآن الكريم في جانب الفكر والعلم إشادته بأولي الألباب والنهى أي أصحاب العقول، في مواضع شتى من سوره المكية والمدنية على سواء.

فقد وردت كلمة: أولوا الألباب أو أولي الألباب في القرآن الكريم ست عشرة مرة. تسعة منها في القرآن المكي، وسبعة في القرآن المدني[٥] من الثماني المدنية أربع مرات جاءت في صيغة النداء.

الأولى قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[١]

---

[١] العقل والعلم في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص ٢١.
[٢] سورة الملك/ الآية: ١٠- ١١.
[٣] سورة الملك/ الآية: ١٠.
[٤] سورة العنكبوت/ الآية: ٤٣.
[٥] هذا بناء على ما رجحناه من أن سورة الرعد مكية، كما يدل على ذلك سياقها وموضوعها بين السور الر، وكلها مكية.

وما ذلك إلا لأن القصاص في ظاهره قتل نفس، فكيف يكون حياة؟ هذا ما يعقله أولو الألباب: أن نفساً تقتل ليحيا بها مجتمع، لما في هذه العقوبة من ردع للقتلة وشفاء لصدور أهل المقتول. يقول الإمام البقاعي: الألباب: العقول التي تنفع أصحابها بخلوصها مما هو كالقشر. قال الحرالي: وهو باطن العقل الذي شأنه أن يلحظ أمر الله في المشهودات، كما شأن ظاهر العقل أن يلحظ الحقائق من المخلوقات، فهم الناظرون إلى ربهم في آياته[٢]

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣].

فالزاد المعروف إنما يكون من الطعام والشراب، فكيف الزاد هو التقوى، بل هي خير الزاد؟ هذا ما يعقله أولو الألباب الذين ناداهم هنا ليتقوه.

ولفظة: يا أولى الألباب: أي العقول الصافية، والأفهام النيرة الخالصة، التي تجردت عن جميع الخلائق الجسمانية، فأبصرت جلالة التقوى، فلزمتها[٤]

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

---

[١] سورة البقرة/ الآية : ١٧٩.

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي مصدر سابق: ٣/ ٣٢.

[٣] سورة البقرة: من الآية : ١٩٧.

[٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، مصدر سابق، ٣/ ١٤٦.

إن كثيرا من الناس يهتمون بالكم والعدد، ويهمهم الطيب وإن كان قليلاً. لهذا أمرهم الله هنا بالتقوى رجاء الفلاح في الدنيا والآخرة.

الرابعة: قوله **تعالى**: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [٢]

والخطاب لأولي الألباب هنا ليتبينوا قدر الذكر الذي أنزل الله إليهم، مجسما في رسول يمثل الإيمان الحي بسنته وسيرته، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

والآيات الأربعة الأخرى منها آية في سورة البقرة: قَالَ تَعَالَى:﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [٣]. وهي ترشد إلى أن أحق من ينتفع بالحكمة هم أولوا الألباب، الذي يضعون الأشياء في مواضعها، ويعطون كل ذي حق حقه. وفي سورة آل عمران ذكر أولو الألباب مرتين:

مرة في أولها في مقام الحديث عن الآيات المتشابهات، فهم لا يهلكون عندها كما يفعل الذين في قلوبهم زيغ، ممن يتبعون ما تشابه من القرآن، بل هم يردون المتشابهات إلى المحكمات التي هن أم الكتاب ومعظمه، وهذا من

---

[١] سورة المائدة/ الآية: ١٠٠.
[٢] سورة الطلاق/ الآية: ١٠ و ١١.
[٣] سورة البقرة/ الآية: ٢٦٩.

ثمار رسوخهم في العلم وتمكنهم منه، فهم كما وصفهم القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [1].

ومرة أخرى في أواخر السورة في مقام الحديث عن آيات الله في هذا الكون المنظور، وما فيها من مجال رحب للتأمل والتفكر، والانتقال منها إلى أن هذا العالم لم يخلق باطلاً ولا عبثاً، بل خلق لحكمة عرفها أولوا الألباب: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [2].

وأما الآيات المكية فقد ورد في ختام سورة يوسف ذكر أولي الألباب في مقام استفادتهم من عبر التاريخ، ومن قصص القرآن، وما اشتمل عليه من بيان سنن الله في الناس والحياة، فالجهال والغافلون تمر عليهم هذه الأحداث، فلا تنبه فيهم غافلاً، ولا تحرك منهم ساكناً، كما قال تعالى في أواخر هذه السورة: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [3]، أما أولوا الألباب فهم وحدهم الذين يحسنون قراءة القصص القرآني، وقراءة التاريخ، وبالتالي قراءة الواقع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

---

[1] سورة ال عمران/ الآية : ٧.
[2] سورة آل عمران/ الآية : ١٩٠و ١٩١.
[3] سورة يوسف/ الآية: ١٠٥.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (١)

وفي سورة الرعد ورد ذكر أولى الألباب في مقام معرفة ما أنزل الله تعالى إلى رسوله ﷺ، وأنه الحق من ربه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢). وقد وصفت الآيات الكريمة أولى الألباب بجملة من الفضائل الخلقية الرفيعة ، فربطت بين الكمال العقلي والكمال الخلقي، وهو ما يمكن ملاحظته في نفي الجنون عن النبي ﷺ، الذي اتهمه به المشركون، بقوله تعالى: ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ (٣)، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٤)، وفي ختام أوصاف أولى الألباب في هذا السياق قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٥).

وفي ختام أوصاف أولي الألباب وأدعيتهم في خواتيم سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم

---

(١) سورة يوسف/ الآية: ١١١.
(٢) سورة الرعد/ الآية: ١٩.
(٣) سورة القلم/ الآية: ٢.
(٤) سورة القلم/ الآية: ٤.
(٥) سورة الرعد/ الآية: ٢٢و ٢٣.

مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [1].

فهذه الآيات كلها تدلنا على أن أهل الجنة هم أولو الألباب، أي أصحاب العقول، فهذا دين العقل والعقلاء.[2]

وفي ختام سورة إبراهيم حديث عن القرآن وما تضمنه من بلاغ مبين للناس، ومن إنذار لهم بهذا القرآن، ومن إعلام لهم بوحدانيته تعالى في إلهيته، وهو ما بعث به الرسل، ونزلت به الكتب، وقامت له القيامة، وانتصبت سوق الجنة والنار، وليذكر في النهاية – بهذا القرآن العظيم– أولو الألباب، الذين هم أولى الناس بتذكر ما فيه واستحضاره واسترجاعه، فيقول تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [3]

ومثل هذا الحديث عن الكتاب العزيز جاء في سورة ص في قوله سبحانه:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [4]

---

[1] سورة آل عمران/ الآية: ١٩٥.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، ت٣١٠هـ ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٧/ ٤٦٠، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبدالله فخر الدين ت ٦٠٤هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٨١م، ١/١٣٤٠.

[3] سورة إبراهيم/ الآية: ٥٢.

[4] سورة ص/ الآية: ٢٩.

فإذا كانت الألباب تسيح متفكرة في هذا العالم – عالم الخلق– ما تبصر منه وما لا تبصر، فإنها جديرة بأن تسيح متدبرة متذكرة في هذا القرآن الذي يجسد عالم الأمر، فكلاهما مشتمل على آيات الله تعالى تلك آيات من فعله ، وهذه آيات من قوله. تلك تعرف بالتعقل والتفكر، وهذه تعرف بالتدبر والتذكر، ولذا جاء في موضع آخر قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [1]،

وجاء ذكر أولى الألباب مرة أخرى في هذه السورة ص في مقام الحديث عن عبدالله أيوب عليه السلام وصبره على ما ابتلاه الله به قال تعالى:﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [2]، وكيف كافأه الله تعالى على صبره ورضاه بقضاء ربه، وعوضه بإعادة أهله – ومثلهم معهم– فقال تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [3].

وفي سورة الزمر جاء ذكر أولي الألباب ثلاث مرات:

مرة في مقام الحديث عن قُوّام الليل الذي يصفون أقدامهم لربهم خائفين راجين، والناس مستغرقون في نومهم أو في ليالي اللهو والمجون، عالمين بأنهم الغانمون الرابحون، وأن غيرهم هو الخاسرون، وهذا هو العقل حقاً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [4]

---

[1] سورة النساء/ الآية : ٨٢.
[2] سورة ص/ من الآية: ٤٤.
[3] سورة ص/ الآية: ٤٣.
[4] سورة الزمر/ الآية: ٩.

والمرة الثانية في مقام الحديث عن عباد الله من أهل التوحيد الذين اجتنبوا الطاغوت والأوثان أن يعبدونها، وأنابوا إلى الله وحده، فبشرهم الله تعالى بما هم أهل له من كرامته مثوبته، ونسبهم إلى عبودتيه تشريفاً لهم وتكريماً ، ووصفهم بأنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [1]، فهم لا يقفون عند الحسن، بل يتطلعون أبداً إلى الأحسن كما قال تعالى في أكثر من سورة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ ﴾ [2]، وكما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ ﴾ [3]. وفي هذا قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [4] فوصفهم بثلاث خصال: التوحيد او اجتناب الطاغوت، والإنابة إلى الله، واتباع أحسن القول.

---

[1] سورة الزمر: الآية : ١٨.
[2] سورة هود/ الآية : ٧.
[3] سورة الزمر/ الآية: ٥٥.
[4] سورة الزمر/ الآية: ١٧ و ١٨.

وكافأهم بثلاث مثوبات: البشرى من الله ، ووصفهم بالهداية، بل حصر الهداية فيهم، كما تدل عليه الصيغة، وكذلك قصر الصفة أولوا الألباب عليهم.[١]

والمرة الثالثة والأخيرة في السورة، جاءت في مقام الحديث عن الماء الذي أنزله الله من السماء وسلكه ينابيع في الأرض، وكيف أخرج الله به زرعاً مختلفاً ألوانه، انتهى به الأمر إلى أن صار حطاماً، ثم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾[٢].

وآخر ما جاء في الآيات المكية كان في مقام الحديث عن التوراة، الكتاب الذي أنزله الله على كليمه موسى نوراً وهدى للناس في زمنه، وكيف جعله الله هدى وذكرى للعقلاء في ذلك العصر، وبها ربط القرآن بين كتب الله تعالى جميعاً ورسله. وهذا هو مقتضى الإيمان كما جاء به القرآن، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾[٣].

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن، الطبري، مصدر سابق، ٢٧٢/٢١، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي ت ٦٧١هـ، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط/١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ١٢/ ١٤٤.

[٢] سورة الزمر/ الآية : ٢١.

[٣] سورة غافر/ الآية: ٥٣ و ٥٤.

فهذه هي المرات الست عشرة، التي جاء فيها ذكر أولى الألباب في القرآن، وهي تدل بغاية الوضوح على أصحاب العقول تحت اسم أولي النهى، والنهى جمع نهية وهي اسم للعقل، سمي بذلك، لأنه ينهى صاحبه عما لا يليق بالإنسان أن يفعله، كما سمي عقلاً لأنه يعقله ويحجزه عما لا ينبغي.[١]

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن مرتين، كلتاهما في سورة طه.

الأولى في مقام حوار موسى مع فرعون، ثم استطرد الى الحديث عن الله سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾[٢]

فهذا مقام الحديث عن آيات الله في الكون، وخصوصاً في عالم النبات والأحياء.

والأخرى في مقام الحديث عن القرون الخالية، وما نزل بهم من بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين، وكيف يعتبر اللاحقون بما أصاب السابقين من دمار وهلاك. وهذا هو موقف أولي النهى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾[٣]. وهناك موضع واحد جاء فيه الحديث عن العقل في القرآن باسم الحِجر والمادة

---

[١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، مصدر سابق، ٢٣٧/٢، لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ١٥/ ٣٤٣.

[٢] سورة طه/ الآية : ٥٣و٥٤

[٣] سورة طه/ الآية: ١٢٨

تدل على معنى المنع، فقيل للعقل: حِجر، لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه.[١]

أما هذه المرة، فقد جاءت في سورة الحجر، في قوله تعالى ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾[٢]

كما جاء الحديث عن العقل في القرآن الكريم باسم الفؤاد مفرداً ومجموعاً، باعتباره وسيلة من وسائل العلم الاساسية الثلاث : السمع والبصر والفؤاد . والفؤاد

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[٣]

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾[٤]

وقد تكرر ذكر السمع والأبصار في سور شتى.

وكثيراً ما يذكر " القلب" بدل " الفؤاد" في مواضع عدة من كتاب الله كما في قوله

تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[١]

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب المعروف ب الراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض د- ط ، د ـت، ١٤٢/١.

(٢) سورة الفجر/ الآية: ١-٥

(٣) سورة الإسراء/ الآية ٣٦

(٤) سورة النحل/ الآية:٧٨

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (٢)

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (٣)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (٤)

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ (٥)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ (٦)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (٧)

---

(١) سورة البقرة / الآية: ٧
(٢) سورة الإنعام/ الآية: ٤٦
(٣) سورة الأعراف/ الآية: ١٧٩
(٤) سورة النحل/ الآية: ١٠٨
(٥) سورة الإسراء/ الآية: ٤٦
(٦) سورة الكهف/ الآية: ٥٧
(٧) سورة الحج/ الآية: ٤٦

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

مما تقدم تبين أهمية العقل ومكانته في الإسلام كما تتضح بجلاء منزلته في الفكر الإسلامي.

حيث تقوم التربية الإسلامية على تكريم العقل أو إكرامه ، إنما كرم الإسلام العقل لأنه مناط التكليف وبه يعرف الله تعالى ويعبد، وبه يكون الإيمان، وبه يتحمل الإنسان مسؤولية نفسه ويتحمل جزاء مخالفاته ومعاصيه(٢)، ولذا يمكن القول أن معرفة الله وتوحيده إنما يكون بالعقل، ومن فقد لأي يبب زال عنه التكليف والحساب والعقاب، وكان كالطفل والمجنون وأمثالها.

الإيمان نفسه لا يهتدى إليه إلا بالعقل، أي أن العقل بالتفكير والتدبر يخرج الناس أو يخرج صاحبة من الكفر إلى الإنسان، والعقل هو الذي يجعل الإنسان مسؤولاً عن نفسه.

وتقدير الإسلام للعقل يقوم على شواهد وبراهين منها:

١- أن العقل واحد من المقاصد الخمسة التي أوجبت الشريعة الإسلامية للحفاظ عليها، وجرمت أي عدوان عليها وفرضت على من اعتدى عليه عقوبة، وتلك المقاصد الخمسة للشريعة هي : الدين والنفس والنسل والعقل والمال.(٣)

---

(١) سورة الجاثية/ الآية: ٢٣

(٢) التربية الغائبة ، علي عبد الحميد محمود ، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م ، ص٢٠٦-٢٠٩

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، مصدر سابق، ٢/ ١٠

٢- أن الإسلام قد فتح أمام العقل باب الاجتهاد فيما يمكن الوصول إليه بالفعل، والاجتهاد عمل عقلي يقوم على التفكير والتدبير و النظر والقياس ، ويتوخى الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع ، وكل هذا لا يعرف ولا يتوصل إليه إلا بالفعل .

٣- أن الإسلام فتح أمام العقل باب الشورى والتشاور والاستشارة كلها أعمال عقلية، قيل لابن المبارك" ما خير ما أعطى الرجل؟ قال: عقل، قيل فإن لم يكن ؟ قال: أدب وحسن، قيل فإن لم يكن، قال: أخ صالح يستشيره، قيل : فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل |: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل"[١]

٤- جعل الإسلام العقل مناط التكليف، فالواجبات الشرعية لا تترتب إلا على العقلاء ، حيث قال صلى الله عليه وسلم: رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل[٢]

والقاعدة الشرعية تقول: "إذا سلب ما وهب، أسقط ما وجب"[٣]

وقد جعل الله عز وجل العقل مناط تشريف وتكريم الإنسان، بأن جعله سببا لتميزه عن سائر الحيوانات والدواب المحرومة من هذه الخاصية، كما جعل الله عز وجل هذا العقل أيضا مناط تكليف الإنسان، وجعله المعول

---

[١] بحوث في التربية الإسلامية، سعيد اسماعيل علي الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط١، ١٩٩٩م/ ص ٢٩٢ وما بعدها

[٢] سنن أبي داوود، مصدر سابق ،باب في الغلام حتى يصيب الحد ، رقم الحديث ٣٨٢٥ ٤٨١/١١

[٣] موقع اسلام ديب www.islamweb.net موسوعة الفتاوى، فتوى رقم ٧٩٨٢٤

الأساس في فهم أحكام الشريعة، والمرشد لكيفية تنزيلها وتطبيقها في واقع المجتمعات، يقول العز ابن عبد السلام: " والعقل هو مناط التكليف بإجماع المسلمين"[١]، ويقول القرطبي في تفسيره: " فأوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل"[٢]

ولقد اهتم الإسلام بالجانب العقلي بما يتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وأحاطه بالعناية والرعاية، فالإسلام إذن هو دين العقل، ودين البحث والنظر والفكر، وعقيدته تعتبر أن العقل مع نصوص الوحي أساسيان لبناء الجانب الإيماني ولا تعارض بينها، لأن كل منها لأن كل منها منحة من الله، ومنح الله لا تتعارض، كما أن المتأمل في سور القرآن لا يكاد يجد سورة من سوره تخلو من هذه الدعوة، إيقاظاً للقلب حتى يلح بنظره داخل هذا الكون، ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يحمل الناس على التصديق والإيمان بالرسالة وما ورد فيها من عقائد ذلك ، ولكن الإسلام دين الحرية لا إكراه في الدين قال تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣]

---

[١] رسائل في التوحيد ، الملحة في اعتقاد أهل الحق :عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، المعروف ب العزيز عبد السلام ت ٦٦٠هـ ، تحقيق: اياد خالدا لطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ، ص١٥٠ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، مصدر سابق،١٠/ ٢٦١.

[٣] سورة البقرة/الآية: ٢٥٦

ودين الاختيار لا دين القهر والقسر، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [1] وقال تعالى﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [2].

---

[1] سورة يونس/ الآية: ٩٩
[2] سورة الإنعام /الآية: ٣٥

المبحث الخامس
التجديد في الفكر الإسلامي

فقد اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يختم الرسالات السماوية برسالة الإسلامية وأن يختم الأنبياء والمرسلين بالرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

وبينما كانت الرسالات السماوية السابقة تنحصر كل منها ببقعة من الأرض، وتختص بأمه من الأمم ، ويعقبها ما ينسخها أو يجددها ، إذا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا نبي بعده.

من أجل هذا كله، كان لا بد أن تتضمن هذه الشريعة ميزات وخصائص، تمكنها من مواجهة تحديات اختلاف الزمان والمكان ، وتبدل أحوال الإنسان وحيث إن من سنة الله في خلقه أن يبتعدوا عن هدي الوحي، وتضعف فيهم أنوار النبوة بقدر تقادم الزمان وتباعده وقد اقتضت حكمة الله أن يعوض البشرية عن الأنبياء بمجددين ويكلؤهم برعايته، فيحيوا الدين في الناس بعد موات، ويوقظوا الأمة من سبات ، وينفضوا عن الدين ركام البدع والمحدثات ، ويخلصوه مما شابه من تشوهات وإضافات، فيعود إلى جوهره ونقائه، ناصعا كما أنزله رب الأرض والسماوات.

وقد وردت بهذا الأخبار ، وتوالت المبشرات ، وحفل التاريخ في حقبة المتعاقبة بعلماء ربانيين، ومجددين مصلحين، قاموا في هذه الأمة بما قام به أنبياء بني إسرائيل في أمة الإسلام والمسلمين، وحمى شرعه من كيد الكائدين وتحريف المحرفين.

لقد كان تجديد الدين في فهم المجددين الربانيين وفي أعمالهم يعني:

إعادة الدين بنصوصه وقواعده ومناهج الفهم والاستنباط فيه، إلى حالته الأولى التي أنزله الله عليها، وإزالة كل ما تراكم عليه من سمات ومظاهر ، طمست جوهره ، وشوهت حقيقته.

وقامرا أثناء ذلك بتعقيد القواعد وتأصيل الأصول، ووضع الضوابط التي تعصم المسلمين من الزلل والانحراف ، سواء في فهم هذا الدين أم في تطبيقه .

إلا أنه وكما اقتضت سنة الله في استمرار الصراع بين الخير والشر ما استمرت الحياة ، وجد في كل الأزمنة والأمكنة الى جانب المجددين الحقيقيين، من امتطى شعار التجديد والإصلاح، ينادى به ويدعو إليه ليدم الدين ويخربه ويحدث دينا جديدا يدل أن يجدد الدين، من خلال السعي الدؤوب لنسخ النموذج الدوري في الإصلاح والتقدم إلى عالمنا الإسلامي تناسيا الفارق الجوهري بين الدين الإسلامي الذي هو من عند الله تعالى ومذاهب الأوربيين التي تعبث بها أيدي البشر ، فرفع ومن يناصره شعار عصرنة الإسلام وتحديثه، وتجديد الفكر الديني عن طريق قراءة جديدة لنصوص الشريعة ، وفهم جديد لها يتلائم مع معطيات غربية أو شرقية ويستجيب لضغوطات الواقع الذي فرضته قوى الكفر والظلام.

وانطلاقا من هذه ولمقتضيات البحث ارتأينا تقسيمه على ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول/ مفهوم التجديد لغة واصطلاحا

المطلب الثاني/ التأصيل الشرعي للتجديد.

المطلب الثالث/ ضوابط التجديد.

المطلب الأول : مفهوم التجديد لغة واصطلاحاً

أولاً: التجديد لغةً: تصيير الشيء جديداً، وجد الشيء أي صار جديداً[١] وهو خلاف القديم، وجدد فلان الأمر وأوجده واستجدّه إذا أحدثه[٢]

فالتجديد لفة: يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغيير كان ذلك تجديداً[٣]

ثانياً: أما التجديد شرعا فهو: التجديد اللغوي عينه، مضافا إليه ما تقتضيه طبيعة الاضافة الى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد.

وقد نوعت عبارات العلماء في تعريف التجديد، وتعددت صيغهم لكنها لم تخرج عن المحاور ثلاثة:

١- المحور الأول: إحياء ما انطمس، واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحمل الناس على العمل بها:

أ- معنى التجديد : إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاها[٤]

ب- ومعنى المجدد هو الذي: يجدد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة[١].

---

[١] القاموس المحيط: ؟؟؟؟ ، مصدر سابق، ١/ ٢٨١، لسان العرب، بين منظور، مصدر سابق ٢٠٢/٢، مختار الصماع، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١، ١٩٦٧م، ص ٩٥، المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، مصدر سابق، ١١٠/١

[٢] المصباح المنير، للفيومي، مصدر سابق، ص ٩٢

[٣] مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير ، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص ١٥

[٤] فيض القدير شرح الجامع الصغير ، محمد عبد الرؤوف المناوي ت ١٠٣١هـ دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٤م/ ١٤/١

ج- المجدد: كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه[٢]

٢- المحور الثاني: قمع البدع والمحدثات، وتعرية أهلها وإعلان الحرب عليهم، وتنقية الإسلام مما علق عليه من أوضار الجاهلية، والعودة بها إلى ما كان عليه من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام:

أ- ومعنى يجدد لها دينها: أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم[٣]

ب_ التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاها وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات[٤]

إن المراد بتجديد الدين تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه ، أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته[٥].

د- التجديد في حقيقته: هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان[٦].

---

[١] المصدر السابق ١/ ١٤

[٢] موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبل النهوض بهم، أبو الأعلى المردودي ت ١٩٧٩ دار الفكر ، بيروت، ط٣، ، ١٩٦٨م، ص ١٣

[٣] قبض القدير للحناوي، مصدر سابق، ٢/ ٣٥٧

[٤] عون: المعبود شرح سنن أبي داوود، شرف الحق العظيم آبادمي، دار الفكر ، بيروت، ط/٣، ١٩٧٩م، ٣٩١/١١.

[٥] تجديد الدين، مفهومه وضوابطه، وآثاره، د. محمد عبد العزيز بن أحمد العلي، دار كنوز اشبيليا، الرياض،/ ط١، ١٤٣٠هـ ، ص ٢٥

[٦] موجز تاريخ تجديد الدين، المودودي ، مربع سابق، ص ٢٥

هـ- إن التجديد لشيء ما: هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهى منه، وترميم ما بلي، ورتق ما انفتق، حتى يعود إلى أقرب ما يكون إلى صورته الأولى.

فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء.....

ولا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم بإحسان[١].

٣- المحور الثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من الواقع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي:

أ- فليس المراد بالاجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد : هو الفهم الجديد القويم للنص، فهماً يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضاياه واقعة في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي[٢].

بـ- التجديد: يعني العودة إلى المتروك من الدين ، وتذكير الناس بما نسوه، وربط ما يجد في حياة الناس من أمور ، بمنظور الدين لها، لا بمنظارها للدين[٣]

---

[١] من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م، ص ٢٨

[٢] الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص ٢٠

[٣] حسن الترابي وفساد نظرية تطوير الدين، عبد الفتاح محجوب ابراهيم بيت الحكمة، القاهرة، ط/١، ١٩٩٥م، ص ٣٥

ج- التجديد هو: تمكين الأمة من إعادة زمام المبادرة الحضارية في العالم كقوة توازن محورية، عبر إحكام صلتها من جديد بسنن الآفاق والأنفس والهداية، التي تتيح لها المزيد من الترقي المعرفي والروحي والسلوكي و العمراني[١].

ومن مجموع هذه التعريفات للتجديد يمكننا صياغة تعريف جامع له على الشكل التالي: تجديد الدين يعني: إحياء وبعث ما اندرس منه، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها.

ونلاحظ من خلال هذه التعريفات أن كل التعريفات التي تهدف إلى تطويع الدين وجعله مسالماً للجاهلية، ومسايرا لما فرضته قوى الكفر بسطوتها من أعراف وقيم غريبة ومنكرة، تحت شعار التجديد والتطوير والإصلاح، ليست من التجديد في شيء.

وكل محاولة لبتر أو الإضافة أو التحوير هي خروج عن الإسلام ، وافتراء على الله ، وافتيات على الناس، وتهجّم على الحق بغير علم، وليس يقبل من أحد بتّة أن يقول: هذا نص فات أوانه، أو هذا حكم انقضت أيامه، أو أن الحياة قد بلغت طوراً يقتضي ترك كذا من الأحكام، أو التجاوز عن كذا من الشرائع، فهذه محاولات لهدم الإسلام وإعادة الجاهلية... كما وأن تجديد الدين لا يني ارتكاب شيء من هذه المحاولات المنكورة، ولم يفهم أحد من العلماء الأوليين أو الآخرين أن تجديد الدين يعني: تسويغ البدع ومطاوعة الرغبات، وإتاحة العبث بالنصوص والأصول لكل متهجم، غير

---

[١] مفهوم تجديد الدين في الفكر الاسلامي، محمد مراح، مجلة القافلة العدد/٣، المجلد /٤٨ لسنة ١٩٩٩م، ادارة العلاقات العامة في ارامكو السعودية،ص١.

أنّ عصابة من الناس درجت في هذه الأيام على إثارة لفظ غريب حول إمكان ما يسمونه تطوير الدين وجعل أحكامه ملائمة للعصر الحديث[١].

وعلى هذا فإن التجديد: لا يعني تبديل الدين أو تغييره، وإنما هو العودة إلى المنابع الأولى الصافية، وهي القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وفقه الصحابة والتابعين، دون أن يكون في ذلك إنكار للحاضر وإهمال للواقع[٢].

ويشار في ختام هذا وبالتأمل في تعريف التجديد إلى أنّ الذي يقع عليه التجديد هو علاقة الأمة بالدين وفكرها المتفاعل مع نصوصه وليس الدين نفسه، إذ هناك دين وتدين، أمّا الدين فهو المنهج الإلهي الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، ،أنزل به كتابه، من عقيدة وعبادة وأخلاق وشرائع، لينظم بها علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الناس بعضهم ببعض..

والدين بهذا المعنى، ومن حيث أسسه وأصوله، ثابت لا يقبل التغيير ولا التجديد.

أما التدين فيعني: الحالة التي يكون عليها الناس في علاقتهم بالدين فكراً وشعوراً، عملاً وأخلاقاً. وفي هذا المعنى يقال: فلان ضعيف الدين أو قويه، حسن الإسلام أو رديئه، فهذه الحالة هي التي يقع عليها التجديد، وتقبل الإصلاح والتغيير..

ولذلك جاء عنوان المبحث التجديد في الفكر الإسلامي وليس التجديد في الإسلام لأن الفكر الإسلامي يتمثل فيما أنتجه المسلمون من علوم

---

[١] كيف نفهم الإسلام، محمد الغزالي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٨٣.

[٢] مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، محمد مراح، مرجع سابق، ص١.

ومعارف واجتهادات على طريق تفسير الإسلام وفهمه وشرح أحكامه، أما الإسلام فهو الوحي الإلهي في الكتاب والسنة الثابتة[١].

المطلب الثاني: التأصيل الشرعي للتجديد

والمراد بالتأصيل الشرعي للتحديد هو بيان مدى مشروعيته، وما هي الأدلة على هذه المشروعية، وما مستوى هذه المشروعية من جهة مدى طلب الشرع له، وهل هذا الطلب على وجه الإيجاب أو الندب، أي وجوب حصول التجديد عند المسلمين، أو الندب إلى حصوله عندهم

أدلة مشروعية التجديد:

ولما كان التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، وحيث أن ما ترك العمل بالكتاب والسنة يعتبر معصية ومنكرا، وحقُ المنكر إزالته لا بقاؤه فكل نص ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أدلة مشروعية التجديد في الفكر الإسلامي، فيما يأتي بعض الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وما يقتضيه العمل بموجبهما[٢].

الفرع الأول: أدلة القرآن الكريم المتعلقة بالتجديد:

---

[١] ليس من الإسلام، محمد الغزالي، دار القلم، بيروت، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص١٣٥ وما بعدها.

[٢] نظرية التجديد في الفكر الإسلامي، د. عبد الكريم زيدان، دار الفكر ، بيروت، ط١ د.ت ص ٢٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [1] ، قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: والمقصود من هذه الآية أن تكون من هذه الأمة فرقة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان [2]

وقد جعل القرآن الكريم من صفات المؤمنين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [3]، وجعل من صفات المنافقين أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [4]، والأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس وسبب خيرتها كونها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر،

---

[1] سورة آل عمران/ الآية: ١٠٤

[2] تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، مصدر سابق/١٥٩/٢ وما بعدها والحديث اخرجه مسلم في صحيحه وكتاب الايمان ، باب كون النهي عن المنكر في الايمان وأن الايمان يزيد وينقص ، رقم الحديث ٦٩/١٠٤٩

[3] سورة التوبة/ الآية: ٧١

[4] سورة التوبة / الآية : ٦٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [1].

الفرع الثاني/ أدلة السنة النبوية المتعلقة بالتجديد

وردت في السنة النبوية المطهرة، عدة إشارات إلى أن الله سبحانه وتعالى سيحفظ هذا الدين ، وسيبقيه خالداً منتصراً إلى قيام الساعة، وذلك عبر علماء ربانيين عدول يبعثهم الله بين الفترة والفترة، ليحموا هذا الدين ، ويحيوا سنته، ويجددوا ما اندرس من معالمه، وسنذكر هذه الأحاديث التي أفادت هذا المعنى في مبحث مستقل.

إلا أنه أن لفظة التجديد ، لم تزد إلا في حديث واحد صحيح عن أبي هريرة ﷺوهذا الحديث أخرجه عدد من أئمة الحديث في مصنفاتهم وهم: أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، والطبراني في معجمه الأوسط، والخطيب البغدادي في تاريخه، وأبو عمرو الداني في الفتن، والهروي في ذم الكلام ، وابن عدي في الكامل[2]، +–وسأكتفي بذكر روايتي أبي داوود والحاكم.

١– رواية أبي داود لحديث التجديد:

---

[1] سورة آل عمران/ الآية: ١١٠

[2] الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني ت ٣٦٥ه تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد محفوض، دار الكتب العلمية بيروت د.ت ، ١١٤/١، سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م، ٢/ ١٤٩.

قال أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة :حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة ﷺ فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.

قال أبو داود عقب ذكره للحديث: عبد الرحمن بن شريح الإسكندري لم يجز به شراحيل[١] . قال الشيخ الألباني: ولا يعلل الحديث قول أبي داود – هذا – وذلك لأن سعيد بن أبي أيوب ثقة ثبت، كما في التقريب [٢]، وقد وصله وأسنده ، فهي زيادة ثقة يجب قبولها.[٣]

٢- رواية الحاكم في مستدركه للحديث:

قال الحاكم: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الربيع بن سليمان بن كامل المرادي، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد، عن أبي علقمة عن أبي هريرة ﷺولا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ قال : إن الله يبعث إلى الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[٤]. وقد سكت الحاكم عن الحكم على الحديث، وكذا فعل الذهبي حيث أورده في تلخيصه للمستدرك ولم يحكم عليه بشيء.

---

[١] سنن أبي داود، مصدر سابق، كتاب الملاحم، باب من يذكر في قرن المائة ، ١٠٩/٤

[٢] تقريب التهذيب، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق ، أبو الاشبال قرن المائة د.ط، د.ت ، ١٠٩/٤

[٣] سلسلة الاحاديث الصحيحة ، للألباني، مرجع سابق، ١٥١/٢

[٤] المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الحاكم النيسابوري تحقيق: مقبل هادي الوادعي، دار الحرمين ، الرياض، ط/١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، كتاب الفتن والملاحم، ٥٢٢/٤.

إلا أن السخاوي ذكر الحديث في المقاصد الحسنة، وعزاه للحاكم أيضا وقال: وكذا صححه الحاكم [١].

فلعل السخاوي اطلع على نسخة مخطوطة للمستدرك ، ووجد فيها تصحيح الحاكم للحديث، لأن النسخة المطبوعة ليس فيها هذا التصحيح.

وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في جامعة الصغير ، ورمز إلى صحته[٢]، وقال عنه ابن حجر: وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهوراً في ذلك العصر، ففيه تقوية للسند المذكور مع أنه قوي لثقة رجاله[٣]

وذكر المناوي الحديث في فيض القدير وصححه وكذا السخاوي في المقاصد الحسنة[٤]، والعراقي، كما في مرقاة الصعود[٥]، وقال الشيخ الألباني: والسند صحيح، ورجاله ثقات، رجال مسلم[٦].

وبهذا يكون الحديث قد صححه جمع من الأئمة الحفاظ منهم : الحاكم، والسخاوي، والسيوطي، والمناوي، والعراقي، وابن حجر.

---

[١] المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٨٥/ ص ١٣٧.

[٢] الجامع الصغير من احاديث البشير النذيرﷺ ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/١ ١٤١٠هـ- ١٩٩٠، حديث رقم ١٨٥٤، ١١٥/١.

[٣] عون المعبود شرح سنن ابن داوود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، مصدر سابق ٣٨٨/١١.

[٤] فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ، مصدر سابق، ٢/ ٢٨٢

[٥] المقاصد الحسنة، السخاوي، مصدر سابق، ٢٨٢/٢

[٦] سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مرجع سابق، ١٥٠/٢

بل نقل العلقمي عن شيخه الإجماع على صحة الحديث حيث قال: اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح[١]، وقال السيوطي في مرقاة الصعود: اتفق الحفاظ على تصحيحه[٢].

كما وردت في السنة النبوية أحاديث مشابهة لحديث التجديد، تحمل في طياتها البشرى بحفظ الله لهذا الدين، وإظهاره له على الدين كله، وحمايته لأهله القائمين عليه.

وسنعرض بعضا من هذه الأحاديث:

١- الحديث الأول: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى قوله صلى الله عليه وسلم: يرث من هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين[٣]

والحديث أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث[٤]، زابن وضاح في البدع والنهي عنها[٥]، وابن عدي في الكامل بأسانيد مختلف (١)

---

(١) عون المعبود وشرح سنن ابي داوود، محمد شمس الحق العظيم البادي، مصدر سابق، ٣٩٦/١١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) السنن الكبرى : سنن البيهقي احمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م وكتاب الشهادات ، باب الرجل من اهل الحديث ، حديث رقم ٥١، ٢٠٩/١٠

(٤) شرف أصحاب الحديث، احمد بن عبد المجيد بن علي ثابت الخطيب الخطيب البغدادي، أبو بكر ت ٤٦٣هـ تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي، نشر جامعة انقرة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ص١١، ٢٨ وما بعدها-

(٥) البدع والنهي عنها ، أبو عبد الله محمد بن وضاح ت ٢٨٦هـ تحقيق: محمد احمد دهمان، دار البصائر، دمسق، ط٢، ١٩٨٠، ص ١ وما بعدها

وقد اختلفت أقوال العلماء في درجته بين مضعف ومحسن ومصحح، وممن ذهب إلى تصحيحه: ابن القيم[٢]، وابن الوزير[٣]، ورأي القاسمي في قواعد التحديث أنه حسن[٤] .

والحديث يدل على ما دل عليه حديث التجديد من أن الله يقبض لهذا الدين ، ويوكل به علماء أمناء عدول يحفظونه، وينفون عنه ما يلصقه به أهل الضلال والباطل، مما يشوه جماله، وأن هذا التوكيل الإلهي يتكرر في كل جيل يخلف الجيل الذي سبقه.

يقول القاسمي في معرض شرحه للحديث: وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية وتعظيم لهذه الأمة المحمدية، وبيان لجلالة قدر المحدثين وعلو مرتبتهم في العالمين، لأنهم يحمون مشارع الشريعة ، وفنون الروايات من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابهة إليها[٥] ، والحديث يكشف عن حقيقة في غاية

---

[١] الكامل في ضعفاء الرجال ، ابن عدي، مصدر سابق، ص ١١٨

[٢] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن ابي شاكر بن قيم الجزرية، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤١٩هـ-١٩٨٠م، ١٦٣/١

[٣] العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم ، محمد بن ابراهيم بن الوزير اليماني ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢، ٣٠٨/١-٣٠٢

[٤] قواعد التحديث من فنون مصلح الحديث ، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤، ص ٤٧

[٥] المصدر السابق نفسه

الأهمية، وهي أن فساد الدين وتحريفه إنما يحصل عبر واحد من طرق رئيسية ثلاثة وهي:

١- الطريق الأول : الغلو:

ويقع الغلو تارة في الأعمال وتارة في الأشخاص ، وتارة في الآراء ، فالغلو في العبادات يؤول بأهلها إلى البدعة في الدين، والغلو في الأشخاص يؤول بأهله إلى تبديل الدين،

٢- الطريق الثاني من طرق تحريق الدين ، تقديم العقل على النقل، واتباع الهوى:

فالشرع هو الحاكم على العقل، وإذا وجد في الشرع أخبار لا تدركها العقول فالواجب على العقول تصديقها والتسليم لها لا ردها وإنكارها، وكم من ضلالات وبدع ما نشأت إلا بسبب استحسان العقل القاصر وتقديمه على الشرع، من ذلك : رد الأمور الغيبية ، التي صحت به الأحاديث كالصراط ، والميزان ، وعذاب القبر ونعيمه.

٣- الطريق الثالث من طرق تحريف الدين ، الجهل بالشريعة:

ويقع الجهل بالشريعة من جهات ثلاث:

أ- الجهة الأولى الجهل بمصادر الشريعة:

ويندرج تحت ذلك: الجهل بالأحاديث الصحيحة، والجهل بمكانة السنة من التشريع، والجهل بإجماع الأمة والجهل بمحل القياس، فالجهل بالأحاديث الصحيحة ينشأ عنه إثبات الأحكام بأحاديث غير ثابتة، والجهل بمكانة السنة من التشريع، ينشأ عنه إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها ، وإحلال بدع مكانها، والجهل بإجماع الأمة يترتب عليه خرق الإجماع

وإحداث أقوال وأفعال مخالفة للإجماع . والجهل بمحل القياس ينشأ عنه الاجتهاد في مورد النص، وإثبات عبادات بطريق القياس.

ب- الجهة الثانية : الجهل بقدر هذه الشريعة وكمالها وشمولها وإحاطتها بجميع النوازل:

وقد أدى هذا السبب بأقوام إلى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة أنهم يكذبون له ولا يكذبون عليه، وأدى بأقوام آخرين إلى إقامة معارضة بين آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذوا بعضها وتركوا البعض الآخر.

ج- الجهة الثالثة: الجهل بوسيلة فهم مصادر الأحكام ، وهي اللغة العربية وأساليبها:

إذ نشأ عن الجهل باللغة العربية التي هي اللغة التي نزل بها الوحي تحريف الكلم عن مواضعه وفهم النصوص على غير مراد الشارع منها.[١]

٢- الحديث الثاني:

أخرج البخاري ومسلم وغيرها قول الرسول ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة[٢]

---

[١] المصدر السابق نفسه، ٨١/١ وما بعدها

[٢] صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حديث رقم ٦٧٦٧، ٢٨٦/٢٢، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حديث رقم ٣٥٤٤، ٣٦/١٠، سنن الترمذي، مصدر سابق، كتاب الفتن باب ما جاء في الأئمة المضلين، حديث رقم ٢١٥٥، ١٧٢/٨ ، سنن ابن ماجة، مصدر سابق، المقدمة ، باب لا تزال طائفة من أمتي، حديث رقم ٦، ٨/١.

وقد اختلف أهل العلم في تعيين الطائفة التي أشار إليها الحديث ، قال النووي: وأما هذه الطائفة ، فقال البخاري: هم أهل العلم ، وقال أحمد بن حنبل :إن لم يكونوا أهل الحديث ... ثم ذكر النووي أن الأولى عدم حمل الحديث على طائفة مخصوصة ، وأن الطائفة المنصورة مفرقة بين أنواع المؤمنين من فقهاء ومحدثين وزهاد ومقاتلين وغيرهم من أهل الخير ، وأنه لا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض[١] فهذا الحديث يؤكد المعنى الذي دل عليه حديث التجديد من أن الله لا يخلي الزمان من أهل الحق الذين ينصرون الدين ويحفظونه نقيا صافيا كما أنزله الله حتى تبقى حجة الله على عباده إلى قيام الساعة ، وقد بوب الخطيب البغدادي لهذه المسألة بقوله: ذكر الرواية أن الله تعالى لا يخلي الوقت من فقيه أو متفقه[٢].

٣-الحديث الثالث:

أخرج أبو داود وأحمد وغيرهما عن أنس بن مالك ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: افترق اليهود على إحدى وسيعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في

---

[١] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، مصدر سابق، ٦٧/١٣.

[٢] صحيح الفقيه والمتفقه، أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت٤٦٣ه تحقيق: عادل يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ١٢٨/١.

النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي[1]

وقد صحح هذا الحديث جمع من الحفاظ والأئمة، منهم: الحاكم، والذهبي، وابن حجر، والشاطبي، والعراقي، والبوصيري.

والحديث وإن كان فيه بيان ما سيقع للأمة من تفرق واختلاف، إلا أن فيه بشرى بحفظ الله لدينه بإقامة فرقة ناجية تلتزم بهدي الرسول صلى الله عليه السلام وصحابته في اعتقادها وسلوكها.

المطلب الثالث: ضوابط التجديد

لقد خيم فهوسُ التحدث باسم تجديد الدين على الأجواء الثقافيّة والفكريّة في البلدان العربيّة والإسلاميّة، فعقدت الندوات والمؤتمرات والأمسيات، وسطرت الكتب، وبدأ الحديث عن تجديد الدين في العالم الإسلامي بقوة، وأمست الساحة الإسلاميّة تعج بأخلاط من الأفكار والآراء الصالحة والطالحة.

ولذا فمن أوجب واجبات التصدي لدراسة تجديد الدين أن نحدد الضوابط والأسس التي تحمي هذا الدين من عبث العابثين، ولهو اللاهين، وتآمر المتآمرين والمراد بهذه الضوابط الحدود التي يقف عندها المجدد ولا يتجاوزها ويمكن أن نشير الى هذه الضوابط على النحو الآتي:

---

[1] سنن الترمذي، مصدر سابق، كتاب الايمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم ٢٥٦٤، ٢٣٤/٩، سنن ابن ماجه، مصدر سابق، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث رقم ٣٩٨١، ٤٩٢/١١، وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع الصغير، للألباني المكتب الاسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ه، حديث رقم ٥٣٤٣.

الضابط الأول: الانحياز التام لثوابت الإسلام

ليس التجديد هدما للثوابت وعبثا بالأصول، ولذا فأي تجديد مزعوم بمس الأصول المعصومة أو يتلاعب بثوابت الدين، فإنه ليس من التجديد في شيء، وأربابه وأنصاره يجب أن تحارب أفكارهم، وتقارع الحجة بالحجة، ويُكشف عن أصولها وغايتها الحقيقية دون مواربة أو مداهنة، فالأمر جدّ خطير، ولا يحتمل مداهنةُ مثل هؤلاء الذين أصبحوا وبالأعلى الأمة الإسلاميّة.

ورحم الله العلامة أحمد شاكر الذي صوّر هذا الفريق العابث بدينه المفتون بثقافة الغرب، بقوله: "وليعلم من يريد أن يعلم من رجل أسلم للعصبية المذهبية أمره حتى ملكت عليه رأيه، وغلبته على أمره، فحادت به عن طريق الهدى، أو من رجل استولى المبشرون على عقله وقلبه، فلا يرى إلا بأعينهم ولا يسمع إلا بآذانهم، ولا يهتدي إلا بهديهم، ولا ينظر إلا على ضوء نارهم يحسنها نورا، ثم هو قد سماه أبوه باسم إسلامي فيأبى إلا أن يدافع عن هذا الإسلام الذي ألبسه جنسية ولم يعتقده دينا فتراه:

– بتأول القرآن ليخضعه لما تعلم من أستاذيه.

–ولا يرضى من الأحاديث حديثا يخالف آرائهم وقواعدهم.

– ثم يأبى أن يعترف بالإسلام دينا إلا في شيء من الأنكحة والمواريث ودفن الموتى[1].

ومن هذا يتبين أن تصدي غير المتخصصين للتجديد بنفوس مريضة وعقول مستعمرة، لا يمكن أن يؤدي إلى التجديد وإنما إلى التبديد، ومن ثم

---

[1] سنن الترمذي، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ٧١/١ وما بعدها.

فالتجديد لا يصح إلا بالمنهج الإسلامي وبالأدوات والآليات التي تنسجم مع محتوى المقدس للإسلام.[١]

وهذا الضابط يعني عدة أمور:

١- ليس من التجديد العبث أو الإعراض عمَّا أخبرنا الله عز وجل به أو رسوله صلى الله عليه وسلم من الأمور الغيبية بنصوص صحيحة، لا تحتمل التأويل، ولا مجال للاجتهاد فيها: كالإخبارات عن ذاته العلية، وأصل خلق الإنسان، والجن، والملائكة، والبعث والحساب، والشفاعة، والجنة والنار ... إلخ.

وبناء على ذلك فإن أي فكر تجديدي بنكر علامات الساعة لا يلتفت إليه ولا يؤبه له : كمن أنكر : الدجال أو المهدي، أو نزول المسيح[٢].

مخالفاً ما صح عن السنة ، وكذا من يتأول بغير دليل ، فيتأول الآيات على غير وجهها فيصبح: الدجال رمزا للخرافات والدجل والقبائح اللاتي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها[٣]

٢- ليس من التجديد تأويل ما أخبرنا به الله عز وجل به أو رسوله صلى الله عليه وسلم من أحكام شرعية بنصوص صحيحة لا تقبل

---

[١] تجديد الدين ، مفهومه، وضوابطه، واثاره، د. محمد حسانين حسن حسانين، بحث مقدم للدورة الثالثة، كلية المعلمين، مكة المكرمة، ط١ ، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م ، ص٨٠.

[٢] منهج المدرسة العقلية في التفسير، د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤، ١٤١٤هـ، ١/٥١٣- ٥٢٢

[٣] تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط٤، ١٣٧٣ه، ٩/٣١٧

التأويل، وليست من مظان الاجتهاد كالأحكام الشرعية: المتعلقة بالعبادات ، وأصول المعاملات ، والمواريث.

فالتجديد الذي يصادم النصوص الشرعية ويصادرها، ليس تجديدا، وإنما تغيير وتحريف وتبديد، فأي فكر يتعارض مع النصوص الشرعية: كالفكر الذي يرفض حجاب المرأة الشرعي، وإقامة الحدود الشرعية، أو الدعوة إلى تولية رئاسة الدولة الإسلامية لغير المسلمين[١] ليس من التجديد في شيء والقاعدة الفقهية تنص على أنه :لا مساغ للاجتهاد في مورد النص "لأن الحكم الشرعي حاصل بالنص فلا حاجة لبذل الوسع في تحصيله بالاجتهاد ظني والحكم الحاصل به حاصل ظني بخلاف الحاصل بالنص فإنه يقيني ولا يترك اليقيني للظني، والمراد بالنص الذي لا مساغ للاجتهاد معه هو المفسر المحكم"[٢]

الضابط الثاني: التخصص في التجديد

الرجوع إلى أهل الاختصاص في أي حقل – ومنه الحقل الاسلامي – مسألة ضرورية للنجاح في مضمار التجديد والتغيير المجدي في حياة الأمة أما اقتحام غير المتخصصين في الحقل الإسلامي فهو أمر يؤدي إلى تفشي حالة التخبط وربما الانحراف وإن كان من دون قصد.

---

[١] اعلن ذلك وأجازه الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وأشار الى ذلك بقوله: هذا حق لأي مواطن بغض النظر عن ديانته وعقيدته السياسية فحتى لو كان زنديقا فمن حقه أن يرشح نفسه، فإذا اختاره الشعب فهذه ارادته ، لأن البديل في هذه الحالة هو أن تحارب الشعب وتصبح مستبدا ، ينظر كتابه مجددون لا مبددون، تطوير النشر والتوزيع القاهرة، ١٤٢٦هـ- ص ١٢٥.

[٢] شرح القواعد الفقهية ، أحمد بن محمد الزرقا صححه وعلق عليه مصطفى احمد الزرقا ،دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٤٠٩هـ ، ١٤٧/١

ويعني هذا الاتجاه من غير المتخصصين إلى وجود الخلل في فهم وتفسير مقولة باب الاجتهاد مفتوح ، حيث أنهم يرون أن هذا الباب مفتوح على مصراعيه ، بمعنى أن كل إنسان له الحق في أن يكون مجتهدا في الدين ، من دون ضوابط ، فإن أخطأ فله أجر واحد ، وإن أصاب فله أجران، وقد غفلوا عن حقيقة الاجتهاد في تلك المقولة ، حيث أنه "لا اجتهاد فيما أعلم من الدين بالضرورة كوجوب الصلوات وكونها خمسا، ومن هذا يعلم أن معرفة الحكم الشرعي من دليله القطعي "لا تسمى اجتهاد"[١] كما أن الباب إن كان مفتوحاً فإنه مفتوح للمتخصصين، فليس لكل دعي جهول أن يخوض فيما لا علم له به، وخصوصا إذا كان ما يخوض فيه توقيعا عن رب العالمين، وعلى هذا الأساس نرى الشارع حريصا كل الحرص على هذا الجانب، يبحث لا يرضى بالخوض في أمور الدين من دون معرفة ، ولا يرضى بالتساهل في ذلك، وعلى هذا يجب ألا يتصدى لتجديد الدين إلا المؤهلون لذلك ، شرعا، ولغويا، واجتماعيا، ونفسيا[٢]

الضابط الثالث: الالتزام بالمصطلح الإسلامي:

إن للمصطلح أهمية كبرى في ايصال المضامين الفكرية والثقافية المختلفة، فالمصطلح هو اللفظ الذي يضعه أهل عرف أو تخصيص معين ليدل على معنى معين يتبادر الى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ.

---

[١] الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ط١٤١٤،٤هـ ، ٣١٦/١

[٢] تجديد الدين ، د. محمد حسانين حسن حسانين، مرجع سابق، ص٨٣

والمصطلح في حقيقته بمثل الوعاء الذي يحوي بين طياته المضمون العقدي والحضاري، والمحتوى الفكري والثقافي ، والبعد التاريخي المرتبط بالمنشأ والهدف، ومن هنا تأتي أهمية التعرض لعالم المصطلحات.

ولا يستطيع المرء أن يفصل المصطلح عن محتواه: العقدي والفكري والتاريخي والسياسي في كل الأحوال[١].

ربما تكون المقولة لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات[٢] صححه في الموارد التي تكون فيها الألفاظ المتعددة ذات مضمون ومحتوى واحد، وهو ما يعبر عنه بالترادف، والذي هو عبارة عن اشتراك الألفاظ المتعددة في معنى واحد، من قبيل: أسد، ليث، غضنفر وغيرها من الألفاظ، فهذه الألفاظ ومثيلاتها لا تصح المشاحات والمنازعة فيها، أما الألفاظ والمصطلحات التي ترتبط بخلفيات فكرية معينة وأبعاد تاريخية لها منشؤها وبيئتها وأهدافها فلا يمكن العبث بها.[٣]

ومن ذلك مصطلح الديمقراطية الذي طالب بعض حملة ألوية التجديد في العالم الإسلامي بإدخاله وإحلاله محل الشورى بشرط أن لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً، وقد رفض جمال سلطان ذلك الاتجاه، لأن الديمقراطية منهجية، ومصطلح فكري وسياسي متكامل، تقبله أو ترفضه أما أن

---

[١] تجديد الدين ، د. محمد حسانين حسن حسانين، مرجع سابق، ص٨٤

[٢] يقول العلماء : لا مشاحة في الاصطلاح أي : لا مجادلة فيما تعارفوا عليه، قال أبو البقاء الكفوي لا مشاحة في الاصطلاحأي لا مضايقة فيه بل لكل أحد ان يصطلح على ما يشاء إلا أن رعاية الموافقة في الأمور المشهورة بين الجمهور أولى واوجب الكليات، مصدر سابق، ٩٧٠/١.

[٣] تجديد الدين، د. محمد حسانين حسن حسانين، مرجع سابق، ص ٨٥.

تخلطه بغير، ثم ترفع رايته فهذا عبث. فالإسلام والمسلمون عرفوا الحرية، وعرفوا حق الأمة في اختيار قادتها، وعرفوا الثورة على طغيان المستبدين، وعرفوا حقوق الإنسان وغير ذلك، من قبل أن تولد الديمقراطية في الفكر الأوروبي بقرون، فلماذا هذه الاستكانة المخجلة؟! ولماذا تقديم التنازلات الفكرية بدون داع، وبدون منطق سوى منطق الفكر الأسري؟ لماذا لا نولد نحن مصطلحاتنا الفكرية والسياسية بعيداً عن التبعية وبعيداً عن مشاعر الدونية والمذلة؟ ومتى يخرج الفكر الإسلامي نهائياً من هذا الغبش الذي يربك عقول أبنائه؟ ومتى نعرف أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين[١]

ومن ثم فالتجديد ينبغي أن يكون وفق المفهوم والمصطلح الإسلامي، فضبط المصطلح والمفهوم مسألة أساسية في كل فكر، فمن الضروري أن يكون المصطلح دقيقاً، ويعني معنى واحداً، فلا نكترث بتغير الأسماء الذي لا يصحبه تغير في حقائق الأشياء وماهيتها[٢]

ومن ثم فالحرص على الوضوح والدقة ضابط يجب أن يلتزم به، ولا يتم ذلك في نظرنا إلا بتحديد دلالة الألفاظ، وعدم الخلط بين المصطلحات، وتبني المصطلح الإسلامي.

الضابط الرابع: تقديم الشرع والنقل على العقل

وهذا من أسس التجديد التي لا يمكن تجاهلها فالإسلام يقدر العقل، إذ العقل مناط التشريع، ولكن العقل له حدود يجب أن يقف عندها، فلا

---

[١] مقدمات في سبيل مشروعنا الحضاري، جمال سلطان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ ، ص ٩٣.

[٢] الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٣، ١٩٨٦م، ص ١٩٤.

يتجاوزها، وفتح هذا الباب أوجد من يشكك في معجزات الأنبياء، وينكر الغيبيات، أو يؤولها تأويلاً يوازي إنكارها.

ومن ثم فلا اعتبار لفكر تجديدي يقدم العقل على الشرع ويحكمه فيه، فالقاعدة الفقهية تنص على أن: استحسان العقول إذا لم يوافق أدلة الأصول، فليس بحجة في أحكام الشرع، والعمل بدلائل الأصول الشرعية أوجب، وهي أحسن في العقول من الانفراد عنها.[١]

فليس للعقل أن يشرع مع وجود النص، ومن مهام العقل في الإسلام استنباط الأحكام الشرعية فيما لا يوجد فيه نص من كتاب أو سنة أو إجماع، أخرج البيهقي في السنن الصغرى في باب ما يحكم به الحاكم، قال: قال الله عزو وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[٢] وعن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: أقضي بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد برأيي ولا

---

[١] الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٦/ ١٦٣.

[٢] سورة النساء/ الآية : ٥٩.

آلو، قال: فضرب رسول اللهﷺ بيده في صدري، وقال: الحمدلله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله[1].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كتب إلى شريح: بأن يقضي بما في كتاب الله، ثم بما في سنة رسول الله ﷺ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله، ولا

---

[1] السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، حديث رقم ٤١٦٩، ٩/ ٣٣. سنن أبي داود، مصدر سابق، كتاب الأقضية، حديث رقم ٣١١٩، ٩/ ٤٨٩، سنن الترمذي، مصدر سابق، كتاب الأحكام، حديث رقم ١٢٤٩، ٥/ ١٠٢، المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط/٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ٢/ ١٧٠، وقد ضعفه ابن حزم الظاهري لعدم اتصاله الأحكام في أصول الأحكام، علي بن حزم الأندلسي، دار الحديث، القاهرة، ط/١، ١٤٠٤هـ ١٢٢/٥ وما بعدها، وورد في تحفة الأحدوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العليمة، بيروت د.ت، حسن لغيره، ٧/ ٣٦٧، وقال ابن القيم: فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين ، فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك، لأنه يدل على شهرة الحديث، وإن الذي حدث به الحارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سمي، كيف وشرهة أصحاب معاذ بالعلم والدين ولافضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى ولا يعرف في أصحابه منهم ولا كذاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، لا يشك أهل العلم بالتفضل في ذلك، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث، وقد قال بعض أئمة الحديث: إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدد يدك به... إعلام الموقعين عن رب العالمين، مصدر سابق، ١/ ٢٠٢.

في سنة رسول اللهﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به. ثم ذكر اجتهاد الوالي[١]

ونحن فيما نذهب إليه من ضرورة تقديم النص على العقل، لا ننكر أهمية العقل، فللعقل دور عظيم في الإسلام، لا ينكره إلا من يتهم في عقلهن فقد أقر النبي ﷺ اجتهاد العقل وقبله أساساً للحكم، وقاعدة للقضاء عند فقدان النص، وفي هذا الدرب سار عمر، وهذا ما كان عليه سلف هذه الأمة الصالح: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتهدون في النوازل، ويقيسون بعض الأحكام على بعض، ويعتبرون النظير بنظيره[٢]

ولكن ذلك كله ليس مسوغاً لتقديم العقل على النص فالإسلام أمر العقل بالاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح، وإن لم يدرك الحكمة والسبب في ذلك، وقد كانت أول معصية لله ارتكبت بسبب عدم هذا

---

[١] أثر إسناده صحيح: سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد سبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ، رقم الحديث ١٦٧، سنن الكبرى للبيهقي، مصدر سابق رقم الحديث ١٢٩٩-٢، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، إبراهيم أحمد عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٤، ١٤٠٥هـ، ٤/ ١٣٦، جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبدالله النمري القرطبي، بن عبدالبر، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط/١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٢/ ٥٦، الأحاديث المختارة، ضياء الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن الحنبلي المقدسي ت ٦٤٣هـ تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ط/٤، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م حيث جاء فيه أن إسناده صحيح ، ١/ ٢٣٩.

[٢] عون المعبود شرح سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، مصدر سابق، ٩/ ٣٧٠.

الامتثال: فحينما أمر الله عز وجل إبليس بالسجود لآدم عليه السلام استكبر وعصى واستبد برأيه، فقارن بين خلقه وخلق آدم عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [1] لذا منع الإسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه، ولا يكون في متناول إدراكه، كالذات الإلهية، والأرواح في ماهيتها.. وقد كان في عصر الرسول نفسه من الآراء الشاذة، التي قضى عليها الوحي ووأدها في مهدها، ومن ذلك قول المنافقين يوم أحد عن إخوانهم الذين قتلوا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [2] [3]

وهذا الضابط من الأهمية بمكان حتى لا يلعب بدين الله، وقد نبه العلامة أبو الأشبال الشيخ أحمد شاكر على أن ممن ابتليت بهم الأمة رجلاً قرأ شيئاً من العلم فداخله الغرور، إذ أعجبته نفسه، فتجاوز بها حدها، وظن أن عقله هو العقل الكامل، فذهب يلعب بأحاديث رسول الله ﷺ، يصحح منها ما وافق هواه، وإن كان مكذوباً موضوعاً، ويكذب ما لم يعجبه، وإن كان الثابت الصحيح[4]

---

[1] سورة الأعراف/ الآية: ١٢.
[2] سورة آل عمران/ الآية: ١٦٨.
[3] منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، مرجع سابق، ٣٨/١ وما بعدها.
[4] سنن الترمذي، مصدر سابق، مقدمة تحقيق جامع الترمذي، أحمد محمد شاكر، ١/ ٧١.

فالقرآن والسنة والإجماع أصول معصومة مقدمة على القعل، وهذا لا يعني بحال أن العقل يخالف منهج الله، أو يصطدم بشريعة رب العباد، فالعقل السليم لا يعارض النقل الصحيح، والقرآن الكريم أشار إلى مقدمات عقلية تهدي إلى سواء السبيل، وتبين مكانة العقل في الإسلام[١].

لكن قد تدفع داعية الهوى الإنسان إلى التبرم من الشريعة والانخلاع منها، وعندئذ يسارع العقل، المدفوع بهوى النفس، إلى تخطئة الشريعة أو تأويلها، كي تتلاءم مع مقتضى هواه، مع أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله، اختيارا كما هو عبدٌ لله اضطراراً[٢]

ومن ثم فتجديد الدين يتم: بالعقل المؤمن، المستنير بالوحي المنضبط بالإجماع، المستفيد من تجارب الأمم المتحضرة، وهذا العقل لا يمكن أن يتخاصم مع الدين فحقائق الوحي لا يمكن أن تتعارض مع العقل، انطلاقاً من وحدة المصدر لكليهما وهو الله عز وجل، فالعقل المؤمن: يغضب لله، ويحب لله ، وينقاد لأمر الله، ويقف عند حدود الله، ويمتثل لشرعه ولو لم يدرك الحكمة مما يمتثل له.

الضابط الخامس: التجديد يتم بآليات المنهج الإسلامي في ضوء التصور الإسلامي

التجديد لا يمكن أن يكون ذا معنى إلا أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل ثقافة متكاملة، متماسكة حية في أنفس أهلها، ثم لا يأتي التجديد إلا من

---

[١] الإسلام لعصرنا ، د. جعفر شيخ إدريس، كتاب المنتدى الإسلامي، الرياض، مجلة البيان، العدد ٨٠ لسنة ١٤٢٢هـ، ص ٨٦- ٨٨.

[٢] الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، مصدر سابق، ٢/ ١٦٨.

متمكن النشأة في ثقافته، متمكن في لسانه ولغته، مغروس تاريخه في تاريخها، وفي عقائدها وفي زمان قوتها وضعفها، فالتجديد حركة دائبة داخل ثقافة متكاملة، يتولاها الذين يتحركون من داخلها، حركة دائبة عمادها الخبرة عند الإقدام على القطع والوصل، فإذا فقد هذا كله، كان القطع والوصل سلاحاً مدمراً قاتلا للأمة وثقافتها[١].

ومن ثم فالتجديد يجب أن يلتزم المنهج الإسلامي، ولا يتأثر بغيره من المناهج. سواء في تطبيقاته التفصيلية أو روحه العامة، فلا يجوز أن يستعار من خارج الإسلام، واعتماده في التجديد، لأن لك منهج روحاً خاصة، تنعكس على مضمونه ومحتوياته، وتتبلور في معالمه وسماته الظاهرة[٢].

والأزمة الحقيقية، الآن في الساحة التجديدية، جاءت لأن أرباب التجديد البدعي لم يلتزموا بهذا الضابط، ومن ثم وقعوا في وهم منهجي، دفعهم إلى الاتجاه المعاكس، فلم يكن التجديد عندهم قائماً على إحياء القيم الإسلامية الأصيلة للبناء عليها، ونقض ما عساه علق بها من ضلالات القرون، والاستجابة الإيجابية القوية للتحدي الأجنبي برفض هيمنته، وحفظ الفواصل معه، ثم مسابقته في ميادين تفوقه التقنية والعلمية، وإنما تفرغ أرباب التجديد البدعي إلى اتجاه التعايش مع التفوق الغربي،

---

[١] رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٦.

[٢] تجديد الدين، د. محمد حسانين حسن حسانين، مرجع سابق، ص ٩١.

والخضوع له، وما يتبع ذلك من تقارب نفسي ولاء، وتقارب سياسي تبعية وتقارب فكري وثقافي تغريب[١]

ومن ثم فالتجديد لا يقوم على مناهج مستوردة وفلسفات لا يقرها الإسلام، وإنما يتم بآليات المنهج الإسلامي وفي ضوء التصور الإسلامي.

الضابط السادس: الفكر التجديدي وسطي بين التفريط والإفراط

إن الغلو في الدين، والتشدد والتنطع، ليس من مظان التجديد، كما أن التفريط والتهاون في الدين، ليس من مظان التيسير ورفع الحرج، فالله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴾[٢] فالتكليف هو الأمر بما فيه مشقة وكلفة، والوسع: الطاقة، والوسع: ما يسع الإنسان، ولا يضيق عليه، وهذه جملة مستقلة جاءت، لكشف كربة المسلمين، ودفع المشقة عليهم في التكليف بما في الأنفس وهي كقوله سبحانه:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٣] [٤]

فالتيسير إذا ليس دفع التكليف، وإنما تكليف الله لعباده على النحو الذي وضعه لنا فيه من التيسير الكثير، لأنه لو كان فيه مشقة فوق طاقة البشر، لناقض قوله عز وجل:

---

[١] الانحراف في الفكر الإسلامي، جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام، بريطانيا، ١٤١٢هـ، ص ٨٠ وما بعدها.

[٢] سورة البقرة/ من الآية : ٢٨٦.

[٣] سورة البقرة/ من الآية: ١٨٥.

[٤] فتح القدير الجامع بين من الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ ، دار الفكر ، بيروت، د.ت، ١/ ٣٠٧.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [1]، وهذا محال شرعاً وعقلاً. وعلى هذا فتبليغ المكلفات على النحو الذي وضعها الله عز وجل عليه وأداها النبي ﷺ وصبحه يمثل قمة التيسير الذي يطمح إليه المجدد.

وكذا من واجب التجديد مواجهة الغلة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [2]، فتحريم الطيبات التي أحلها الله عز وجل، غلو في الدين، نهى عنه الشارع، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3]، ومن ثم فالتجديد نقيض الغلو والتفريط في الدين ومن مهمات التجديد الديني مواجهة الغلو والتفريط وتصفيته سواء في العبادات أو في المعاملات أو في العقائد.

الضابط السابع: عدم تتبع رخص المذاهب وزلل العلماء.

الرخصة عند علماء الأصول: هي الأحكام التي شرعها الله تعالى بناء على أعذار العباد، رعاية لحاجاتهم، فالرخصة: هي الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر هو المشقة والحرج[4]

---

[1] سورة البقرة/ من الآية: ٢٨٦.
[2] سورة المائدة/ الآية: ٨٧.
[3] سورة الأعراف/ الآية: ٣٢.
[4] التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، عبدالرحيم بن الحسن أبو محمد الأسنوي، تحقيق: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٠هـ، ١/ ٧١.

ولا شك أن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه، أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه[١].

والأخذ بالرخصة شيء، وتتبع الرخص شيء آخر، ومن تتبع رخص المذاهب، وزلات المجتهدين، فقد رق دينه كما قال الأوزاعي ت:١٥٧هـ أو غيره: من أخذ بقول المكيين في المتعة، والكوفيين في النبيذ، والمدنيين في الغناء، والشاميين في عصمة الخلفاء فقد جمع الشر، وكذا من أخذ في البيوع الربوية بمن يتحيل عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسع فيه، وشبه ذلك فقد تعرض للانحلال[٢].

---

[١] صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي ت٣٥٤هـ، ترتيب: علي بن بلبان بن عبدالله علاء الدين الفارسي المنعوت بالأمير ت٧٣٩هـ مؤسسة الرسالة، بيروت د.ت، رقم الحديث: ٣٥٤، ٢/ ٦٩، المعجم الأوسط، ابو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق عبد عوض الله بن محمد عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط/١، ١٤١٥هـ، حديث رقم ٨٠٣٢، ٨/ ٨٢، ورجال الطبراني ثقات ، حديث صحيح: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي أبو بكر الهيثمي، دار الربان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ، ٣/ ١٦٢.

[٢] سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ٧٤٨هـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط/٢، ١٤١٣هـ ، ٨/ ٩٠.

وقد نص العلماء أن تتبع هذه الرخص من مسالك الفسقة، واتفقوا أن طلب رخص كل تأويل، بلا كتاب ولا سنة فسق لا يحل، واتفقوا أنه لا يحل ترك ما صح من الكتاب والسنة والاقتصار على ما اقتصر عليه فقط.[١]

وقد أشار الدكتور وهبة الزحيلي إلى جواز تتبع الرخص للضرورة، دون تعمد التتبع أو قصد العبث والتلهي، لأن تتبع الرخص أمر واقعي لا مهرب منه في واقع الإفتاء، حيث يجوز للمستفتي أن يعمل بما أفتاه به المفتي دون السؤال عن المذهب، فلو تعدد الاستفتاء وأفتى كل عالم بمذهبه، وجب على السائل العمل بالفتوى[٢].

وأرى والله أعلم أنه غذا جاز ذلك للعامي في ظرف خاص، وهو ظرف تعدد الفتوى، فإنه لا يجوز لدعاة التجديد أن يسلكوه، ليقفوا على فتاوى وأحكام جديدة مناقضة لنصوص الشريعة الإسلامية.

الضابط الثامن: اجتناب التلفيق بين المذاهب

والمراد: بالتلفيق بين المذاهب: أخذ صحة الفعل من مذهبين معاً، بعد الحكم ببطلانه على كل واحد منهما بمفرده، كالنكاح بلا ولي ولا شهود، فإن النكاح بلا ولي صحيح عند الحنفية، والنكاح بلا شهود صحيح عند المالكية، فإن صحة النكاح حينئذ ملفقة من المذهبين معاً لكنه باطل عند

---

[١] مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ١/ ١٧٥.

[٢] الرخص الشرعية وأحكامها وضوابطها، وهبة الزحيلي، دار الخير، دمشق ، بيروت، ١٤١٣هـ ، ص ٥٢.

كل مذهب[١] ،ولذلك وذع ابن عابدين ت: ١٢٥٢هـ في حاشيته هذه القاعدة: إن الحكم والفتيا بالقول المرجوح جهل وخرق للإجماع، وأن الحكم الملفق باطل بالإجماع[٢]. فالتلفيق ممكن فقهياً في بعض المسائل الاجتهادية الظنية، ولكن بناء الأحكام والفتيا عليه، خصوصاً إذا أدى الحكم الملفق إلى حكم يخالف منهج الله، ويخالف هدي النبي ﷺ، كان يؤدي إلى إحلال المحرمات، كالخمر والزنى ونحوهما، فهو باطل بإجماع الفقهاء.

وأكد الدكتور وهبة الزحيلي: أن مجال التلفيق في المسائل الاجتهادية الفرعية الظنية، وليس مسائل: الأخلاق، والعقائد، والعبادات المالية، والمعاملات المدنية، والمحظورات ، والأمور المعلومة من الدين بالضرورة، التي ليست محلاً للاجتهاد والتقليد والتلفيق[٣].

الضابط التاسع: لا يجوز للفكر التجديدي أن يكون مستمداً من الآراء الشاذة

لا يجوز للفكر التجديدي أن يكون مستمدا من الآراء الشاذة في المذهب، والمقصود بالشاذ: ما كان مقابلاً للمشهور والراجح أو الصحيح في المذهب، لأن العلماء متفقون على عدم الإفتاء بالشاذ، إلا أن يكون

---

[١] الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، مرجع سابق، ١٣/ ٢٩٣.

[٢] حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة، حاشية ابن عابدين، محمد ابن عمر بن عابدين ت ١٢٥٢هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ ، ٢٠٨/٣.

[٣] الرخص الشرعية، أحكامها وضوابطها، وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص ٧٠-٧٣.

المفتي المجدد مجتهداً في المذهب، فيعمل حينئذ بما يراه أرجحن لقوة دليله، ولو كان هذا الرأي شاذاً.[١]

الضابط العاشر: المصالح المعتبرة لا تعارض النصوص الشرعية

العناية الزائدة عن الحد بالمصالح، حتى نجعلها دليلاً شرعياً مستقلاً، نعارض به النصوص الشرعية، وننسخ بها الأحكام التي لا تتلاءم معها، خروج عن شرع الله، فالمصالح المعتبرة لا تعارض نصاً، ومن ثم يجب أن نتعامل مع المصلحة فننزلها بميزان الشرع، وليس بميزان الهوى.

فالمرأة الكافرة إذا أسلمت في بلاد الغرب، يحررها الإسلام من رابطة الزوجية بزوجها الكافر، فلا يجوز ها هنا أن نمكن الكافر من المسلمة، ونفتي لها بجواز بقائها تحته!! وبجوار الأبناء لمصلحة ما.

فإنها تستطيع أن تبقى مع الأبناء بحكم القانون، أما أن نبيح عرضها لنصراني أو يهودي أو مجوسي أو هندوسي تحت حجة المصلحة! فإن المصلحة الحقيقية في تطبيق منهج الله الذي يقول في كتابه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ ﴾[٢] فإذا قال الله عز من قائل: ﴿ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ ﴾ فإن أي قول آخر لا يؤبه له ولا يلتفت إليه.

ولذلك تنقسم المصلحة إلى قسمين:

---

[١] الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت مرجع سابق، ٢٥/ ٣٥٧-٣٦١.

[٢] سورة الممتحنة/ من الآية: ١٠.

أحدهما: المصلحة المعتبرة، وهي التي شهد الشرع لها بالاعتبار، وهي ترجع إلى حفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والنسل والمال[١].

والآخر: مصلحة ملغاة: وهي التي شهد الشرع بعدم اعتبارها[٢]

فالشخص الذي أراد أن ينقل صلاة الجمعة إلى يوم الأحد في بلاد الغرب، لمصلحة متوهمة، وهي أن الناس لا يجتمعون للجمعة، فتؤخر لليوم الذي يجتمعون فيه، قد رد عليه بأمرين:

أولهما: مخالفة النص الصريح: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾[٣]

والآخر: قيل له: هذه صلاة الجمعة، فإذا أقمناها يوم الأحد فماذا تسمى؟![٤]

ونحن في هذا الاتجاه لا نخاصم المصالح، وإنما نقدرها بقدرها مع احترام النص الشرعي، فالمصالح في الأصل مسائل اجتهادية ظنية، والقاعدة واضحة في أنه لا مساغ للاجتهاد في مورد النص.

---

[١] أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ، ٧٥٢/٢.

[٢] الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٣٢هـ، ١١٣/٢.

[٣] سورة الجمعة/ الآية: ٩.

[٤] الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والتفريط، د. يوسف القرضاوي، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص ٧٣ وما بعدها.

الضابط الحادي عشر: المقصد الشرعي من الحكم موضوع لفهم الحكم لا لإلغائه

الكثير من الأحكام معللة، لافحكم يدور مع علته وجوداً وعدما، والعلة هي: المعنى الجالب للحكم[١]، وقد بين الرسول ﷺ الأمر بنفسه فقد ذكر النبي ﷺ علل الأحكام والأوصاف المؤثرة فيها ليدل على ارتباطها بها وتعديلها بتعدي أوصافها وعللها كقوله: إنما جعل الاستئذان من أجل البصر[٢]، وقوله في الهرة: ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات[٣]، وقد نص القرآن صراحة للعلة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ

---

[١] رسالة في أصول الفقه، أبو علي الحسن بن شهاب الحسن العكبري الحنبلي، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ، ٦٨/١.

[٢] صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الاستئذان، حديث رقم ٥٧٧٢، ١٩/ ٢٥٩، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الأدب، حديث رقم ٤٠١٣، ١/ ١١٢.

[٣] صحيح بن حبان ، مصدر سابق، باب الاسآر، حديث رقم ١٢٩٩، ٤/ ١١٥، السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ - ٢٠٠١م، كتاب الطهارة، حديث رقم ٦٣، ١/ ٧٦، سنن أبي داود، مصدر سابق، باب سؤر الهرة، حديث رقم ٦٨، ١/ ١٠٧، سنن الترمذي، مصدر سابق، باب سؤر الهرة ، حديث رقم ١٠٩٢/ ١٥٥، والحديث صحيح الإسناد وإن أعله بعضهم، ينظر: نصب الراية لأحاديث الهداية، عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي ت ٧٩٢هـ ، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط/ ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١/ ١٣٦ وما بعدها.

حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) (٢)

ومعرفة حكم الشرع وما اشتمل عليه من مصالح العباد في المعاش والمعاد، فإن ذلك مما يزيد به الإيمان والعلم، ويكون أعون على التصديق والطاعة، وأقطع لشبه أهل الإلحاد والشناعة، وأنصر لقول من يقول: إن الشرع جميعه إنما شرع لحكمة ورحمة لا لقول من يقول إنه لم يشرع لا لحكمة ورحمة بل لمجرد قهر التعبد ومحض المشيئة(٣).

وأرباب التجديد البدعي يقفون على المقصد من الحكم الشرعي وعلته، ويقولون: إن المراد من الحكم تحقيق ذلك المقصد، وهذا المقصد إذا أمكن تحقيقه من طريق آخر فثم شرع الله، وبذلك يعطلون الأحكام! فالحدود في الإسلام موضوعة كعقوبة زاجرة، فإذا تحققت العقوبة الزاجرة بالسجن، مثلاً، لم لزم إقامة الحد!!(٤)

ولا ريب أن ما علله الله ورسولهﷺ يعد علة واضحة، تبين الحكم ومقصده، أما ما وضعه الفقهاء من علل وأخذوا بها حكموا بأن العلل يُبطل بعضها بعضاً(٥) ، أي: انها محل خلاف.

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢٢٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ١٩٨/١.

(٣) المصدر السابق ،١٩٩/١ وما بعدها.

(٤) تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، كتاب البيان، رقم ٦٠ سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص ٥٠.

(٥) الاحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، مصدر سابق، ٦/ ١٩٦.

والذي أراه والله تعالى أعلم أن العلة التي يدور معها الحكم، تكون علة واضحة بينة، لها قرائن تدل عليها، ولا تنقضها أحكام أخرى، ومن ذلك من أن حكم تحريم الزنى لا يدور مع علته التي هي اختلاط الأنساب وجوداً وعدما، إذ قد تنتفي العلة ويوجد التحريم كما إذا وطئ رجل صغيرة، وكذلك تحريم شرب الخمر، لا يدور مع علته، التي هي الإسكار، إذ قد ينتفي الإسكار، ويوجد التحريم، كما إذا اعتاد الشخص شرب الخمر، بحيث لا يؤثر في عقله شيء، أو شرب قدرا لا يسكر[١]

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن نؤكد: أن ابتناء التجديد على مسألة علل الأحكام، يقتضي أن تكون العلة مما نص عليه الله أو رسوله ﷺ صراحة، أو متفقا عليها بين الفقهاء، أو يكون المجدد المعلل مجتهداً، بلغ مرتبة الاجتهاد، ثم إن هذا الاجتهاد لا يمكن بحال من الأحوال أن يهدم نصاً من النصوص القطعية، لأن العلة عندئذ تكون ظنية، وهي ليست بحكم أصلاً، فالعلل ليس من مصادر

الضابط الثاني عشر: أحكام الشريعة عامة، تعم كل زمان ومكان

الشريعة ربانية المصدر، وحين يتولى الله ﷻ التشريع لعباده، فإن المنهج الحيوي المنبثق منه يجيء بريئاً من كل ما يعنور الصنعة البشرية من القصور، والنقص، والضعف، والتفاوت، وهكذا يأتي الشمول خاصية من خصائص التصور الإسلامي[٢]

---

[١] الفروق أو إقرار البروقاني أنواع الفروق، أبو العباس أحمد بن إدريس، الصنهاجي القرافي ت٦٨٤هـ ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ، ١/ ٢٤٠.

[٢] خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، مرجع سابق، ص ١٠٨.

وعلى هذا: فالزعم بتاريخية النصوص، وأنها نتاج حقبة معينة في التاريخ، زعم غرضه الأول والأخير تنحية الشريعة من الحياة، وليس تجديد الدين، وإنما هدم الدين كلية، وهذا ما انتهى إليه نصر أبو زيد، بقوله: والذي لا شك فيه أن فهم قضية النسخ عند القدماء، لا يؤدي فقط إلى معارضة تصورهم الأسطوري للوجود الخطي الأزلي، للنص، بل يؤدي أيضاً إلى القضاء على مفهوم النص[١]

فإذا كان نسخ الآيات تدرجاً في الأحكام، لمراعاة الواقع، وإذا كانت أسباب النزول تراعي الزمان والمكان والحادثة، فإن هذا المنهج يؤكد على تاريخية النص!! هكذا فهم نصر أبو زيد تلك التاريخية التي تحصره في فترة زمنية محددة، ومن ثم يصبح البيان القرآني والسنة النبوية مجرد نصوص تاريخية، لا تناسب هذا العصر، لأننا نعيش في زمان آخر وواقع آخر!!

ولذلك فمن معالم الحق أن يدافع المجدد عن منهجه في اعتبار الشريعة الإسلامية شريعة ربانية، تعم كل زمان ومكان، وأن أحكامها المنزلة أحكام عامة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذه القاعدة الفقهية نص عليها النبي ﷺ أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[٢] قال الرجل: ألي هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتي، فهذا الذي أصاب القبلة من المرأة نزلت في خصوصه

---

[١] مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط/٦، ٢٠٠٥م، ص ١٣٤٢هـ.

[٢] سورة هود/ الآية: ١١٤.

آية عامة اللفظ، فقال للنبي ﷺ: ألي هذه؟ ومعنى ذلك هل النص خاص بي، لأني سبب وروده، أو هو على عموم لفظه؟ وقول النبي ﷺ: لجميع أمتي[١] معناه أن العبرة بعموم لفظ لا بخصوص السبب[٢]

وحسبُ المجدد أن لا تنزلق قدمه في تلك المهامه، وينزه منهجه عن هذا الطعن الصريح في الشريعة الخاتمة، التي نسخت الشرائع السابقة، وارتضاها لنا ربنا لتكون دستوراً ومنهاجاً لهذه الأمة حتى قيام الساعة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣].

الضابط الثالث عشر: التجديد يعني التغيير بالمفهوم القرآني

يمكننا أن نقبل التجديد بمعنى التغيير، ولكنه التغيير بمفهومه القرآني الذي يبدأ من الداخل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٤] ويشمل التغيير عندئذ: تغيير المعتقدات، والأفكار الفاسدة التي تؤدي إلى دين فاسد، أو دنيا فاجرة، بمعتقدات صحيحة قويمة سليمة، وتغيير المشاعر والإيرادات السلبية، وإحلال أخرى إيجابية مكانها، وتغيير المسالك والأعمال الخطأ دينياً أو دنيوياً، وإيجاد البديل الصالح.

فالتغيير: يعني تغيير الواقع، وصبغه بصبغة الإسلام ومنهجه في الحياة فالأصل الذي يجب أن ترجع إليه الحياة البشرية هو : دين الله ومنهجه

---

[١] صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث ٤٩٥، ٢/ ٢٢١، صحيح مسلم، مصدر سابق، رقم الحديث٤٩٦٣، ١٣/ ٣٣٣.

[٢] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن مختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ، ٢/ ٣٥٩ وما بعدها.

[٣] سورة البروج/ الآية: ٢١ و ٢٢.

[٤] سورة الرعد/ من الآية: ١١.

للحياة... نعم إن هذا الدين للواقع ، ولكن أي واقع؟! إنه الواقع الذي ينشئه هذا الدين نفسه وفق منهجه، منطبقاً على الفطرة البشرية في سوائها، ومحققا للحاجات الإنسانية الحقيقية في شمولها هذه الحاجات، التي يقررها الذي خلق، والذي يعلم من خلق.. فالدين لا يواجه الواقع لبقره، ويبحث له عن سند منه، وعن حكم شرعي يعلقه عليه كاللافتة المستعارة! إنما يواجه الواقع ليزنه بميزانه، فيقر منه ما يقر، ويلغي منه ما يلغي، وينشئ واقعاً غيره إن كان لا يرتضيه، ولعله يثار هنا سؤال: أليست مصلحة البشر هي التي يجب أن تصوغ واقعهم؟ ومرة أخرى نرجع إلى السؤال الذي يطرحه الإسلام ويجيب عنه:

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (١)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (٢) (٣)

فالتجديد ليس مجرد حديث عن الإسلام، أو حديث يغلب عليه الطابع الفقهي، وليس إيمانا بعقيدة الإسلام وتشبثاً بتعاليمه، بمنأى عن واقع

---

(١) سورة البقرة/ من الآية: ١٤٠.
(٢) سورة البقرة/ الآية : ٢١٦.
(٣) معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط/١٦، ١٤١٣هـ ، ص ١٠٤- ١٠٦.

الأمة، ومعاناتها اليومية ومستقبلها، وما يجابهها من تحديات، وإنما إيمان بصاحبه عمل صالح على الأرض لمصلحة الأمة، وتحريك لهذا الواقع الراكد بميراث النبوة ، ومواجهة للتحديات بالعقل المؤمن الواثق بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ومما تقدم نستخلص أهم ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وعلى النحو الآتي:

١-ألا يؤدي الفكر التجديدي إلى التصادم مع النصوص الشرعية أو الإخلال بها، لأن الأصل هو التمسك بالنصوص الشرعية لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[١]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث الداعية إلى طاعة الله تعالى ورسوله. فأي فكر يتعارض مع النصوص الشرعية القطعية لا اعتبار له، كالفكر الذي يبيح الربا ويرفض الحجاب الشرعي للمرأة وإقامة الحدود الشرعية.

٢-ألا يكون الفكر التجديدي فكرا صرح العلماء برده وعدم اعتباره، فلا اعتبار لفكر تجديدي يتبنى الآراء التي تذهب إلى أن العقل هو الذي يحسن ويقبح ويوجب ويحرم حيث رد أهل العلم هذا الرأي واعتبروا أن الذي يحسن ويقبح ويوجب ويحرم هو الشرع لا العقل[٢].

---

[١] سورة التغابن/ الآية: ١٢.

[٢] شرح المحلى على مجمع الجوامع ، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين الأنصاري المحلي ت ٨٦٤هـ، مطبعة دار إحياء الكتب الدينية، عيسى البابي، القاهرة، د.ط، د.ت، ٥٧/١- ٥٩،

٣-أن يراعي الفكر التجديدي القواعد العامة في الإفتاء:

أ- فلا يجوز أن يتتبع الفكر التجديدي رخص المذاهب وزلل العلماء قال الأوزاعي: من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الإسلام.[١]

ب- ألا يكون الفكر التجديدي ملفقاً بين المذاهب، والمراد بالتلفيق بين المذاهب أخذ صحة الفعل من مذهبين معا بعد أن حكم ببطلانه كل واحد منهما بمفرده في المسألة الواحدة، كالنكاح بلا ولي ولا شهود، فإن النكاح بلا ولي صحيح عند الحنفية، والنكاح بلا شهود صحيح عند المالكية، فإن صحة النكاح حينئذ ملفقة من المذهبين معاً لكنه باطل عند كل مذهب على حدة.[٢]

ت- ألا يكون الفكر التجديدي مستمداً من الآراء الشاذة في المذاهب والمقصود بالشاذ هنا ما كان مقابل المشهور أو الراجح أو الصحيح في المذهب، لأن العلماء متفقون على عدم جواز الإفتاء بالشاذ إلا أن يكون المفتي المجدد مجتهداً في

تفسير البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي ت٧٤٥هـ ، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ١/ ١٤٣.

[١] تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، مصدر سابق، ٣٢٥/٦ وما بعدها، الموافقات للشاطبي، مصدر سابق، ٤/ ١٤٧.

[٢] الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مرجع سابق ١٣/ ٢٩٣.

المذهب فيعمل حينئذ بما يراه أرجح أو أصح في نظره لقوة دليله ولو كان هذا الرأي شاذاً.[1]

الفصل الثاني

الاستشراق

[1] المرجع السابق، ٢/ ٣٥٧ – ٣٦١.

المبحث الأول

التعريف بمفهوم الأستشراق لغةً وأصطلاحاً

المطلب الأول : تعريف الأستشراق لغة:

جاءت لفظة الأستشراق لغةً من الفعل شَرَقَ فالشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدلُ على إضاءة وفتح، ومن ذلك شَرَقَت الشمس ؛ إذا طلعت، و أَشرَقَت إذا أضاءت، والشروق طلوعها[١].

و الشَرْق بسكون الراء : يطلق على المكان الذي تشرق فيه الشمس[٢]، ونقول : قد شَرَّقُوا : إذا ذهبوا إلى الشرق[٣].

ومما تقدم نجدُ أن المعاجم اللغوية المختلفة لم تذكر كلمة الاستشراق، ولكنها ذكرت جذر هذه الكلمة، ومن خلال الاستناد الى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق، يتضح المفهوم اللغوي للاستشراق فـ الاسْتِشْرَاق مصدر

---

[١] ينظر: مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت٣٩٥هـ، تحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ٣٦٤/٣ .

[٢] ينظر:لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت٧١١هـ، دار صادر _ بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م، ٦٥/٨، مادة شرق .

[٣] ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسين الزبيدي، ت١٢٠٥هـ تحقيق : مصطفى حجازي، د . ت، ٥٠١/٥ مادةشرق

للفعلِ اسْتَشْرَقَ، وهو طلب الشرق، كما يقال ؛ اسْتَفْهَمَ : إذا طلب الفهم، واسْتَنْصَرَ : إذا طلب النصر، واسم الفاعل من اسْتَشْرَقَ مُسْتَشْرِقَ ؛ وهو الذي يطلب الشرق[١]، والمقصود بالشرق جغرافياً ما وقع شرق وجنوب القارة الأوربية ، من بلاد العرب والمسلمين ، وغيرهم من الأقوام والديانات ، سواءٌ في آسيا أو أفريقيا [٢].

المطلب الثاني :تعريف الاستشراق اصطلاحاً:

أختلفت تعاريف الاستشراق من قبل المستشرقين وعلماء المسلمين، كلاً حسب تصوره لمفهوم الاستشراق، انطلاقاً من بيئته أو تجربته الذاتية في التعريف، وربما استحضر هدف الاستشراق أو وسائله التي أعتمدها أو خلفيته السياسية أو غير ذلك .

فعرّفه الدكتور أحمد غراب بقوله: الاستشراق هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون– من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب ؛ عقيدةً، وشريعةً، وثقافةً، وحضارةً، وتأريخاً، ونظماً، وثروات، وإمكانات، بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية،

---

[١] ينظر : الحركة الاستشراقية _ مراميها وأغراضها، أ . د . رشيد العبيدي، مطبعة أنوار دجلة، ٢٠٠٣م، ص١٠ .

[٢] ، ينظر : الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق، أدوارد سعيد، ترجمة : محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع _ القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢

وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي[١].

وعرفه يوسف أسعد داغر بقوله: حركة علمية عنيت ولا زالت تعنى بدراسة المدنيات الشرقية ؛ ما غبر منها وما حضر، وما طمس ذكره منها وما استقر، وبما خافته تلك الحضارات من قوة ..، وآثار فكرية وأدبية وفنية ودينية، وبما يتصل بهذه الحضارات القديمة، وبما فيها من شعوب وأجناس ومذاهب ومدارس، وما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية وهو خليق بأن نحييه نشراً وطباعةً.[٢]

ويرى الباحث أن هذا التعريف يجانب الصواب لأن أهداف الاستشراق ودوافعه كانت استعمارية، ومن خلفيات دينية تهدف إلى الطعن في الإسلام للحد من أنتشاره في أوربا، وأستبداله بالحركات التبشيرية، وعرف الأستشراق بأنه : أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة صياغته وتشكيله فكرياً وسياسياً وممارسة السلطة عليه.[٣]

وكذلك يُعرف المستشرق بقولهم : هو من يقوم بدراسة الشرق، أو الكتابة عنه، أو بحثه فيه، ويسري ذلك سواء كان المرء مختصاً بعلم الإنسان، أو

---

[١] رؤية اسلامية للاستشراق، أحمد غراب، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، د . ت، ص٧ .

[٢] مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، المطبعة المخلصية، ط٢، ١٩٦١م، ص٧٧١ .

[٣] ينظر : الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق، ص٤٤ .

علم الأجتماع، أو علم التأريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة، أو ما يقوم به المتشرق هو استشراق[١].

ففي نظر أدوارد أن الاستشراق لا يقتصر على الدراسات الإسلامية فحسب بل يشمل جميع العلوم الأخرى مادامت متصلة بالشرق .

وقد عرف الدكتور ألبرت حوراني الاستشراق بقوله: هو نظام أكاديمي لدراسة وفهم الشرق، أو هو نمط من التفكير يرتكز على التمييز ، بينما يُعرف بـ الشرق وآخر يدعى الغرب، ومن مقتضياته وجود مؤسسة تعنى بهذه المنطقة المترامية الأطراف، من أجل معرفتها وفهمها، وربما السيطرة عليها، كما حصل فعلاً، فالرغبة في السيطرة تكمن في صلب ما كان يعتقده الغرب حول الشرق ففي تلك الرغبة يتجلى التمييز بين نحن و هم.[٢]

يبدو أن هذا التعريف يقتصر على الدراسات الأكاديمية التي تقف خلفها مؤسسات علمية، إلا أن المستشرقين جعلوا من المؤسسات الأكاديمية، واجهة ينفذون من خلالها إلى التبشير بالمسيحية وهذا غرض ديني و استعماري وليس غرضاً علمياً كما هو شأن الدراسات الأكاديمية .

---

(١) ينظر : المرجع السابق ، ص٤٥.

(٢) ينظر : الإسلام في الفكر الأوربي، للدكتور ألبرت حوراني، دار الأهلية للنشر _ بيروت، ١٩٩٤م، ص٧٨ .

فهم يَدعون العلمية والموضوعية وفي الحقيقة هم يتحركون بدوافع عقائدية ونزعات دينية، ودراسة اللهجات أو اللغات أو التأريخ والآثار ما هو إلا وسيلة للنفوذ إلى الشرق .

ويرى الدكتور صلاح الجابري : الاستشراق هو فكرة الغرب عن الشرق، تلك الفكرة التي تجسدت في الواقع وعبر مراحل تاريخية بالصورة التي ترسمها الظروف، وتجيزها، فاتخذ صورة التبشير الديني تارةً وصورة التمثيل التصويري تصوير الشرق تارةً أخرى، وصورة الاستعمار المباشر تارةً ثالثة، وفي كل تلك التجسدات والتحقيقات فإن طبيعة الثقافة السائدة والسيطرة، هي ثقافة إمبريالية[١]، تمثيلية، وليست انعكاسية ؛ أي لا ترمي إلى تصوير واقع موضوعي وإنما تسعى إلى تصوير شعور داخلي مثار بموضوع خارجي هو الشرق.[٢]

وبعد هذا العرض يمكننا إيجاد تعريفاً جامعاً مانعاً .

فالاستشراق : هو كل نشاط علمي يقوم في الشرق من قبل الغربيين سواء كان في دراسة لغاتهم أو تأريخهم أو تراثهم أو حضارتهم أو علومهم

---

[١] الإمبريالية : هي سياسة تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين الدول الرأسمالية الكبرى، وتناهض الاشتراكية، فهي صورة من صور الاستعمار التقليدي لبسط السيطرة على الدول النامية، ينظر : القاموس السياسي، أحمد عطا الله، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٣، د . ت،ص ١١٧

[٢] ينظر : الاستشراق قراءة نقدية، الدكتور صلاح الجابري، دار الأوائل _ دمشق، ٢٠٠٩م، ص١٥ .

النفسية وأحوالهم الأجتماعية ولاسيما حضارة الإسلام ودينهم، وأحوال المسلمين في مختلف العصور، تدفعهم في ذلك خلفيات ودوافع سياسية ودينية .

المبحث الثاني

نشأة الاستشراق وداوفعه ووسائله:

المطلب الأول: نـشأة الاستشراق

اختلفت الدراسات حول بداية الاستشراق الذي لا يقبل الشك أن بدايته كانت تحت إشراف الكنيسة وبإشراف مباشر من كبار أحبارها[١].

وهناك من يرجع بدايات الاستشراق إلى الاحتكاك الذي حصل بين المسلمين والرومان في لقاءهم في غزوتي مؤتة سنة ٨هـ[٢].

ويرى بعض الباحثين أن بدايات الاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبية، حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين حين لقوا الهزائم الواحدة تلو الآخرى هناك على أيدي المسلمين منذ زمن عماد الدين زنكي ٥٢١ _ ٥٤١هـ حتى عصر الظاهر بيبرس ٦١٧ هالذي هزم الصليبيين شر هزيمة في سلسلة معارك مما ولد

---

[١] تراثنا بين ماضي وحاضر، عائشة بنت الشاطئ، معهد البحوث والدراسات، ١٩٨٦، ص٥٢.

[٢] ينظر: الفتوح، احمد بن محمد بن علي بن اعثم الكوفي، ت ٣١٤ هـ، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء – بيروت، ط١ ، ١٩٩١م، ٣ / ١٠٣، والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي، عبد اللطيف عبد الشافي محمد، دار السلام _ القاهرة،ط١ ، ١٤٢٨هـ، ١ /٣٠٠.

لدى الصليبيين دافع الانتقام من خلال شتى حملات قوية لتشويه صورة الإسلام ورسوله محمد ﷺ بمختلف التهم والوسائل[١].

ومن خلال هذا العرض يظهر أن تحديد بدايات الاستشراق من المسائل الشائكة لدى الباحثين المعنيين بالدراسات الاستشراقية، والمؤرخين لها، وعدم الجزم بتحديد من هو اول غربي عُني بالدراسات الاستشراقية، فبعض الباحثين والمؤرخين يرون أن اول جذور هذه الدراسات تعود الى نهاية القرن الاول الميلادي اذ عثر على كتاب لمؤلف مجهول اسمه الطواف حول البحر الاريتيري ويرى الدكتور جواد علي انه كُتب في نهاية القرن الاول الميلادي وان مؤلفه كان عالماً باحوال الهند وشواطئ افريقيا.[٢]

أما الدكتور مصطفى السباعي، وآخرون فقد ذهبوا الى القول: بأنه لا يعرف على وجه التحديد اول غربي اتجه الى دراسة العلوم الاسلامية، ولا تاريخ البدء بذلك، والذي يمكن أنْ يقال بذلك الخصوص بدأ بدراسه اللغة العربيه والاسلام وانتهى بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق _ الى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضارته وتقاليده واشهر لغاته، وإنْ

---

[١] ينظر: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي، الرياض، ط١ ، ١٩٨٣م،ص ٢٠.

[٢] ينظر: كتاب الموسوعة الصغيرة، تطور الاستشراق في دراسه التراث العربي، د.عبد الجبار ناجي، صادر عن دار الجاحظ للنشر، ١٩٨١، ص١٣.

كانت العناية بالاسلام والاداب العربية، والحضارة الاسلاميه هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم ونظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الاستشراقية[١].

أما الدكتور محمد السيد فيقول: أن معظم المحققين لهذه المسأله يجمعون على أن بداية هذه الحركه نشأت في نهاية القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر بفرنسا وأنَّ الراهب الفرنسي **جديردي** أولياك ٩٣٨م _ ١٠٠٣م كان من اوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق حيث رحل من فرنسا إلى اسبانيا مهد الحضارة الاسلامية في وقته فتعلم فيها اللغة العربية ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينية حتى قيل إنه أوسع علما عصرة معرفة بعلوم العرب وخاصة الرياضيات والفلك، ثم ارتحل الى روما حيث اشتهر من بين أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربية وعلومها، ثم جاء بعده قسطنطين الاغريقي سنه ١٠٨٧م وبطرس المحكوم سنه ١٠٩٢م _ ١١٥٦م وارجودي **سانتلا** سنة ١١٠٧م ثم جيرارد كريمون سنه ١١١٤م _ ١١٨٧م، ثم تابع رواد هذه الحركة وتكاثرت أعدادهم واختلفت جنسياتهم بحيث شملت معظم دول أوربا وأمريكا في العصر الحديث وكان هؤلاء إذا عادوا إلى بلادهم عملوا على نشر علوم العرب بين أبناء وطنهم الى أن تطور الامور بعد ذلك حيث

---

[١] الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، دار البيان، الكويت، ط١، ١٩٦٨م، ، ص ٧.

أنشأت الحكومات الاوربية في جامعاتها اقساماً مستقلة لتدريس اللغة العربية وعلوم الشرق ثم أخذت بعد ذلك حركة الاستشراق تنمو في اطراد مستمر حتى سنه ١٣١١م _ ١٣١٢م إذ عقد مؤتمر فينا **الكينسي** وكان اهم قراراته انشاء كرسي اللغة العربية في روما على نفقه الفاتيكان، وفي باريس على نفقه ملك فرنسا، وفي اكسفورد على نفقه ملك انكلترا، ويعد كثيراً من المؤرخين لحركة الاستشراق ان هذا المؤتمر هو البدايه المنظمة وشبه الرسميه للاستشراق وما كان قبل ذلك انما كان بمثابة الارهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المعاهد الاستشراقيه المعنيه بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية **بصيغة** خاصة[١].

وترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ أن الاستشراق قام في بداية امره لغاية دينية محضة ثم توسع علماء الاستشراق فجعلوه سياسياً ولغوياً معاً [٢].

ويرى باحثون أن مولد الاستشراق كما يقول د.محمد البهي . أن الدراسات الاستشراقية ما قامت إلا بوحي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة للنتقاص من تعاليم الاسلام وإهدار قيمة حرصاً على مذهب الكثلكة، **وتعويضاً**

---

[١] موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم، رياض عدنان العبيدي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م ، ص٩.

[٢] ينظر: تراثنا بين الماضي والحاضر، عائشة بنت الشاطىء، معهد البحوث والدراسات، ١٩٨٦م. ص٥٤ .

للهزائم الصليبية المتلاحقة في تحرير بيت المقدس ثم تبنى الاستعمار الغربي هذه الدراسات في الجمعات الغربيه نفسها[١].

أما الاستاذ مالك بن نبي فيرى أن أوربا اكتشفت الفكر الاسلامي في مرحلتين من تاريخها، فكانت في مرحلة القرون الوسطى _ قبل وبعد توماس الاكويني تريد اكتشاف هذا الفكر وترغيمه من أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي اتاحت لها تلك المرحلة الاستعمارية وتعود أوربا لتكتشف الفكر الاسلامي مرة اخرى لا من اجل تعديل ثقافي، وانما من اجل تعديل سياسي لوضع الخطط اللازمة التعامل بها مع البلاد الاسلامية، والتي تكفل لها استمرارية الهيمنة والتسلط عليها[٢].

وقال باحثون آخرون أن الاستشراق ظهر خلال القرن الخامس عشر الميلادي والقرن السادس عشر الميلادي حيث ظهور الطباعة وازدهار الجامعات الكبرى فتأسس أول قسم للغة العربية في جامعة باريس في الكرلج دوفرانس سنة ١٥٣٩م ثم تأسيس في جامعة لايدن بهولندا

---

[١] المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، د، محمد البهي ، مطبعة الازهر ، القاهرة،١٩٦٣، ص ٨٣، وينظر:الاستشراق والسيرة النبوية، بحث الدكتور عدنان علي الفراجي، مجلة الجامعة العراقية العدد الثالث لسنة١٩٩٦، ص١٢٩.

[٢] ينظر: نتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، مطبعة دار البيان، القاهرة، د.ت، ص٧ ومابعدها ، والاستشراق والسيرة النبوية، د.عدنان علي الفراجي، ص ١٢٩.

١٦١٣م ثم تبعها تأسيس اول كرسي للغة العربية في اكسفورد وكمبردج بريطانيا في الربع الأول من القرن السابع عشر[١].

نلخص مما تقدم من الآراء أن ليس هنالك اتفاق بين دارسي الاستشراق على فترة زمنية محدده لبداية نشأة الاستشراق ويبدو لي أن الاستشراق بدا منذ دخول الاسلام وانتشاره في البلاد الأوربية وذلك لكبح طريق الإسلام والسيطرة عليه لكي لا يدخل الأراضي الأوربية والاجنبية فقد قام المستشرقون ببذل كافة قدراتهم العلمية والثقافية والدينية للسيطرة على التيار الإسلامي من أجل معرفة الشرق وما يوجد فيه من أديان وتراث وحضارة على مدى العصور منذ بدايتها الى نهايتها للسيطرة على الاسلام.

وهناك من يرى أن نشأة الاستشراق كانت في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كأول تأريخ لبداياته من دون الجزم بذلك، يوم كانت أرض المسلمين قبلة للعلم، وقد قصدها من أراد النهل من معارفهم وحضارتهم، وحينها ظهرت الاندلس وحواضرها الكبرى مأوى للثقافة ومناراً للمعرفة لما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس التي وفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا وانكلترا وألمانيا من أجل الدرس وتحصيل العلم[٢].

---

[١] الاستشراق من منظور فلسفي معاصر، د.عبد الامير الاعسم، بحث منشور في مجلة الاستشراق، العدد الاول لسنة ١٩٨٧، ص١٩ .

[٢] ينظر: مصادر الدراسة الأدبية، يوسف داغر، ٧٧٢/٢، واثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية عرض وتحليل، أمجد يونس عبد

علماً أن الاستشراق في بدايته أداة من أدوات التبشير المسيحي، فقد سعى الرهبان والقساوسة لتعلم اللغة العربية، والتضلع بالدراسات الاسلامية وذلك من أجل فهم الدين الاسلامي حتى يسهل عليهم نقضه من أساسه ومن ثم رد أتباعه عنه، وهكذا انتشر تعليم اللغة العربية في مدارس أوربا وجامعاتها، وتم إنشاء العديد من المطابع لطباعة الذخائر العربية والاسلامية، وتخصص بعضها باللغات الشرقية كالعبرية والفارسية لفهم ما كتب في التوراة، وأيضاً لمقارعة فقهاء وعلماء المسلمين والرد عليهم بأدلة وحجج مستقاة من الكتب الاسلامية أولاً، ومن كتاب العهد القديم التوراة ثانياً، إذ يعدون هذا الاخير أساساً للديانتين اليهودية والمسيحية[١].

المطلب الثاني : دوافع الاستشراق

هناك اسباب عديد كانت وراء الاشتراق منها:

١) الدافع الديني :

بدأ الدافع الديني بالرهبان إذ كانت بداية الاستشراق على أيدي رجال الكهنوت بتوجيه من الكنيسة، فقد دفعتهم عصبية الكنسية إلى الطعن في

مرزوك، اطروحه دكتوراه مقدمه الى كلية الاداب الجامعة العراقية، ٢٠١٢، ، ص١١

[١] ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، الدكتور ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ١ / ٤٥ .

الإسلام وتشويه حقائق كتابه والكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم والقدح في أهلهِ، وبذلك أظهروه بمظهر الدين الخرافي، وأعطوه صورة سيئة ليثبتوا لجماهيرهم الخاضعة لزعامتهم أن الإسلام هو حاملٌ هذهِ الصورة لا يستحق الانتشار، خصوصاً بعد أن انتشرت في شعوب أوربا اليقظة الفكرية، ونفورهم من خرافات الكنيسة وأعراضهم عن الديانة المسيحيه، فخاف رجال الكنيسة من دخول الناس للاسلام، ودفعهم إلى اختلاق صورة شوهاء عن الإسلام، والعمل على إشاعتها بين شعوب الغرب لإقناعها بأن الإسلام غير جدير بالاعتناق...[١]

٢) الدافع الاستعماري:

إن الدافع الاستعماري يعد بلا شك نقطة خطرة في العلاقات بين الشرق والغرب ومحاولة الأخير السيطرة على الأول ويسحق قوته واحتلال أرضه ونهب مقدراته، ولهذا الدافع جذور عميقة زرعت ونبتت قيل الميلاد، ونمت بعده، وزدادت عمقاً وشمولاً مع اندفاع المسلمين وهزيمتهم لإمبراطوريتي فارس والروم ووصولهم إلى أوربا واستقرارهم في بعض أراضيها، وعندما رأى الغرب كل هذا شرع يعد قوته لخوض معركة فاصلة مع الإسلام والسيطرة على أراضيه، فأخذ يتعلم لغته وآدابه وحضارته لكي

---

[١] ينظر: الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، ط١، قطر، ١٩٨٣م، ص٧٣.

يتفوق عليه، ثم قام بحروبه الصليبية المعروفة واتبعها بحروب آخرى عبر قرون كثيرة ففشل تارة ونجح في أخرى[١].

فصار الاستشراق بقصد أو دون قصد عدوا في جسمه ورسمه للإسلام متخفياً بأثواب ملونة إيهاماً للناظرين وما خلفها من خبث الجسد الصليبي ولا يظهر ذلك الاستشراق إلاّ بعد أن يعرى جسده حتى ينكشف وجهه الحقيقي، فكان الاستشراق أداة الاستعمار وعينه في العالم الإسلامي الشرقي قبل الاحتلال القسري؛ وإن للاستشراق جنوده المجندين لخدمته بإخلاص وأبرزهم سلفستر دي ساي، SALC.DIE ١٨٣٨م أول أستاذ للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، الإستاذ والمدير في الكلية الفرنسية، كان متمكنا في الاستشراق، فقد قام بتأليف نشرات باللغة العربية لجيش نابليون بونابرت الكبير.

وهو أيضاً ممن خططوا للجيش الفرنسي في اجتياح الجزائر عام ١٨٣٠م؛ ومن النماذج الآخرى التي خدمت الاستعمار، المستشرق ماكس ميلر MAKS MELAR الذي أتقن دراسه اللغة العربيه والديانات الشرقية، فقد اشرف في جامعة أكسفورد على تدريب وتخريج دفعات من الحكام المستعمرين لتيسير الأمور في الهند، وكان هناك أيضاً المتشرق

---

[١] ينظر: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأداب العربي المعاصر، د. احمد سيما يلو فتش، دار الفكر _ القاهره، ١٩٩٨م، ص ٥٠ .

روث بيندكت ، R.BINDKT، ١٩٤٨م، الذي سهل دخول اليابان ضمن المشاريع الأمريكية[١].

٣) الدافع السياسي:

قامت دول الغرب أثناء الإستعمار وبعدهُ بالافادة من دراسات المستشرقين فجعلت في كل سفارة من سفاراتها لدى الدول العربيه والإسلامية أناساً على تضلع بالدراسات الاشتراقية، ومعرفة باللغات لتتمكن من الاتصال برجال الفكر والسياسة والصحافة، ثم العمل على بث الاتجاهات السياسية لما تريدهُ الدول الغربية، فضلاً عن بث الدسائس للتفريق بين الدول العربية بعضها مع بعض من جهة، وبين الدول العربية والإسلاميه جهةٍ أخرى، بمختلف الحجج والذرائع، وقد أدى العاملون في السفارات الغربية لدى الشرقية أدواراً كثيرة، تمكنوا فيها من اكتساب عملاء لدولهم، سواء على الصعيد السياسي أو الفكري أو التربوي أو الاعلامي في الإذاعه والصحافة وغيرهما من وسائل الاعلام الأخرى، وكذلك تمكنوا من إثارة الفتن والاضطرابات هنا وهناك في أقطار الشرق[٢].

---

[١] ينظر: الإسلام دين المستقبل، دي جارودي روجية، ترجمة: عبد الحميد بارودي، دار الإيمان _ القاهره، ط٢، دار البحوث العلمية، ١٩٨١م، ص٢٠ وما بعدها.

[٢] ينظر: الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، ص٢٠، ومناهج المستشرقين، الدكتور سعدون الساموك، بغداد، ١٩٨٥م، ص١٥ وما بعدها، واراء جولد تسيهر في القرآن

٤) **الدافع الأيدلوجي[١] الفكري:**

ونقصد بالأيدلوجية: جملة من وجهات النظر السياسية والحقوقية والأخلاقية والدينية والفنية التي تعكس مصالح هذه الطبقة أوتلك في المجتمع[٢].

والمتتبع لنشأة الاستشراق يجد أنه يسير على خطة موضوعة، كان وراءها أسباب أيدلوجية، فالغرب لم يتردد أبداً في سبيل تحقيق أهدافه الفكرية والعقدية باستخدام كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وهي حقيقة لا جدال فيها، فقد أيقن الغرب أنه من غير المستطاع انتزاع العواطف من

الكريم وعلومه، عمر زهير علي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب الجامعة العراقية، ٢٠١٠، ص ٣٣.

[١] أيدلوجيه: ترجع في أصلها إلى اللغة اليونانية، وهي مكونة من مقطعين؛ اديو بمعنى ما هو متعلق بالفكر، و لوجوس وهو العلم، وهي فرع من الدراسات الإنسانية التي تبحث في طبيعة الفكر، نشأة الصور العقلية عند الإنسان، وقد شاع استعمالها في مجال البحوث السياسية وفي صراع المذاهب السياسية بين الأقوام في الوقت الحاضر. ينظر: القاموس السياسي، احمد عطية الله، دار النهضة العربية _ القاهرة، ط٣، ص١٦١ .

[٢] ينظر القاموس السياسي، تاليف: ب . ن بونوماريون، ترجمة وإعداد: عبد الرزاق الصافي، مركز الطباعة الحديثة _ بيروت، ص ٦٣.

أفئدة الناس، وليس من الممكن استئصالها بحملة عسكرية أو إنشاء محكمة تفتيش أندلسية لمحاربة آراء الناس ولغاتهم وضمائرهم وعلاقاتهم، فالمسألة كلها فكرية وعلمية ومحاربتها يجب أن تكون على غرار أسلوب نشأتها؛ فكر بفكر وثقافة بثقافة، من أجل هذا نشأ الاستشراق في الغرب، وأخذ جماعة من الغربيين يعكفون على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسةً وبحثاً وتحقيقاً لينفذوا في ضوء ذلك إلى الغاية التي عملوا من أجلها[١].

وعلى هذا تعد الدوافع الأيدلوجية ذات آثار خطيرة ونافعة في ذات الوقت، إذ تدفع الإنسان إلى ذلك الصراع الفكري المتواصل الذي لا يهدأ ولايستكين، وهي سنة الحياة المطردة تعمل على وضع الشخص في صراع فكري دائم حتى مع نفسه وأخيه وصديقه وعدوه وعشيرته فضلاً عن صراعه مع مجتمعه ولربما مع العالم بأسرة [٢].

٥) الدافع العلمي:

وهذا الدافع لا ينبغي إغفاله عند دراسة الاستشراق ودوافعهِ، بعد ان تيقن الغرب منذ وقت مبكر أن معالم النهوض والارتقاء تكمن بدراسة لغات الشرق وآدابه وحضارته ولاسيما حضارة الإسلام، إذ حقق هذا الدين ورجاله أهدافاً عظيمة في السياسة والاجتماع والأخلاق والثقافة، مما حدا

---

[١] ينظر: المستشرقون والاسلام، حسين الهروي، مطبعة المنار– القاهرة، ١٩٣٦م، ص١١.

[٢] ينظر: فلسفه الاستشراق، د.أحمد سما يلوفتش، ص٥٠ .

بالمستشرقين أن يقبلوا على الدراسات الشرقية بشغف وأنطلق بعضهم إلى آفاق بناءة استفاد منها الشرق والغرب على حد سواء[١].

وقد كان الدافع لدراسة اللغات الشرقية دينياً وحربياً في القرون الوسطى، ولكنه سرعان ما تحول إلى غرض علمي الهدف منه كشف ما تكنه العلوم والفنون الشرقيه من كنوز ثمينة وبتقدم هذه الدراسات اتصل حبل المودة _ نسبياً_ بين الشرق والغرب وتوثقت العلاقات العلمية بين الدول الشرقية والغربية وكان للمستشرقين فضل لاينكر في تنبيه الأفكار بمؤلفاتهم إلى إدراك الحقيقة الخالدة طالما أنكرها الغربيون وهي أن المدنية الأوربية الحديثة مبعثها الشرق وعلومه وحضارته[٢].

وقد دفع حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها ثلة من المستشرقين لدراسة الإسلام وفق المنهج العلمي السليم، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، وما وقعوا فيه من أخطاء كان بسبب جهلهم باللغة العربية وأساليب البيان فيها، وتأثرهم بالمفاهيم الغربية، وقد اهتدى بعضهم إلى الإسلام مثل الفونس أتين دينيه A.ATEIN DENEA الملقب بناصر الدين و موريس بوكاي M.BIKAI، وغيرهما كثير، فأمثال هؤلاء لم ينالوا رضا رجال

---

[١] ينظر: المرجع السابق ، ص٥١.

[٢] ينظر: تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا، يوسف جبرا، مطبعة **الثباب**، ١٩٢٩م، ص٥٢.

الدين في بلادهم ولارجال السياسة، ولاعامه الباحثين، علاوة على أنهم لم ينالوا من أي جهة أموالاً أو تشجيعاً [١].

ومثل هولاء المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية أو أقتصادية أو دينية لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم وبذلوا فيه جهوداً ضخمة، فيكون من المكابرة والتقصير الاّ ينطق اللسان بمدحهم والثناء عليهم[٢].

المطلب الثالث :أهداف الاستشراق

للاستشراق أهداف متعددة تبعاً لدوافعه وما يستجد على ساحة الحضارة الشرقية بشكل عام، وما تفرزه الحضاره الإسلامية بشكل خاص، ويمكن إجمال هذه الأهداف بما يأتي:

١) وضع منظومة معرفية ببلاد الشرق وحضارته، يغذيها خبراء غربيون وعلماء المشرقيات الأكاديميون والمبشرون بالنصرانية من أجل المساهمة في وضع القرار السياسي لوزارات الخارجية للدول العربية ومن ثم بناء خطط متكاملة لنشر النصرانية والتبشير بها في بلاد المسلمين.

---

[١] ينظر: الاستشراق والمستشرقين: الدكتور مصطفى السباعي، ص٢١.

[٢] ينظر: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ابو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢ .

٢) تأسيس مرجعية معرفية لإنتاج مفاهيم جاهزة لوصف الشرق عموما وبلاد المسلمين خصوصاً وترويج هذه التوصيفات في مراكز البحوث ووسائل الإعلام ومن أمثلة هذه المفاهيم الإسلاموفوبيا[١] ، والأصولية والعلمانية.. وغيرها.

٣) تأسيس منهجية فكرية لدراسة الشرق كنموذج للاختيار وذلك بإجراء بحوث أكاديمية ومختبرية تخدم علوم الاجتماع والسياسة والدين والنفس وغيرها من العلوم التي تدرسها الجامعات الغربية.

٤) بناءاً على ما تقدم واستنادا لهذه القاعدة البيانية المنهجية التي كونها الغرب حول الشرق اقامت مراكز الدراسات والبحوث بوضع خطط إستراتيجية تقوم بتطبيقها على الدول العربية والاسلاميه واعادة تكون أهداف تلك الخطط لتمكين الغرب من إحكام سيطرته على الشرف فكرياً وسياسياً واقتصاديا، ومثل هذه الخطط؛ قضية تبني الغرب دعم الأقليات

---

[١] الإسلاموفوبيا: أو ارهاب الاسلام وهو لفظ حديث نسبياً يشير إلى الاجحاف والتفرقة العنصرية ضد الاسلام والمسلمين، مثير للجدل يُعرفه بعضهم على أنه تحيز ضد المسلمين او شيطنة المسلمين لوحظ استعمال المصطلح منذ ١٩٦٧م ولكن استعماله بقي نادراً في الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين، ثم انتشر المصطلح انتشاراً سريعاً بعد هجمات الحادي عشر من سبسمبر/ايلول عام ٢٠٠١ ينظر: ويكيديا _ الموسوعه الحرة: اسلاموفوبيا: http://Jr.wikipedij.org\wiki\

القومية والطائفية والدفاع عن مصالحها أمام دولها التي تعيش فيها هذهِ المجموعات، وبذلك يحرضون هذه الأقليات للثورة والمطالبة بحقوقهم لإضعاف دولهم[١].

المطلب الرابع :وسائل المستشرقين

١) تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام باتجاهاته ورسوله وقرآنه وفي أغلبها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص.

٢) إصدار المجلات المتخصصة حول الشعوب الشرقية وبلدانها وحضارتها.

٣) إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ ودور الأيتام ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.

٤) إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وبعض المستشرقين كانت توجه لهم دعوات لإلقاء المحاضرات في الجامعات العربية في دول العرب ليتحدثوا عن الإسلام.

٥) كتابة المقالات الصحفية في الصحف المحلية عندهم، وقد استطاعوا شراء عدداً من الصحف المحلية العربية، وقد جاء في كتاب

---

[١] ينظر: الاستشراق التكوين الوسائل والاهداف، الدكتور رعد شمس الدين الكيلاني، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦م، ص ١٠ .

التبشير والاستعمار للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي وهو من أهم الوثائق التاريخية عن نشاط المستشرقين والمبشرين لخدمة الاستعمار، وقد أعلنوا المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على خصوص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر.

٦) عقد المؤتمرات حول الاستشراق لمراجعة الخطط وتحديثها وكان من أولها عام ١٧٨٣م وما زالت مستمرة.

٧) إنشاء موسوعة دائرة المعارف الاسلامية وقد أصدروها بعدة لغات، وبدأوا بإصدار طبعة جديدة منها وقد صدر منها ثلاثة عشر مجلداً حتى الآن[١].

٨) إنشاء الجمعيات العلمية لدراسة الشرق، وكانت هذه بمثابة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق إذ تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعاً إسهاماً فاعلاً في البحث والاستكشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية[٢].

---

[١] ينظر: الاستشراق والمتتشرقون، الدكتور مصطفى السباعي، ٣١ ومابعدها.

[٢] ينظر: فلسفة الاستشراق، الدكتور احمد سيما يلو فتش، ص٨١ ، وآثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية، أمجد يونس عبد مرزوك، ٢٧ وما بعدها.

المبحث الثالث

علاقة الاستشراق بالتراث الإسلامي

احتفظت الامة العربية الاسلامية بمؤلفات علمائها وابنائها وهي محفوظة تحوي عليها اروقة المساجد والمدارس والمكتبات الخاصة والعامة وعند قسم كبير من الأفراد الذين **احتفظوا** بها ميراثاً، وعندما تنبه الغرب على ماضي الشرق العربي من كنوز وأثار علمية وأدبية وفنية هي آخر ما توصلت اليه البشرية من حضارة وتقدم مما جلب اهتمام المستشرقين وتجار الآثار والكتب فأكثروا من السفر نحو الشرق وتوطيد العلاقات الودية مع أبنائه وبذل كل غال في سبيل الحصول على كنوزه بشتى الوسائل حتى أمكنهم من الاستيلاء على أهم وأكثر الآثار والكتب النفيسة التي تتناول فروع الحضارة والتاريخ واللغة والأدب والعلوم الإسلامية، وعندما تسرع المستشرقون في ترجمة ونشر وتحقيق النصوص العربية وكان جلّ اهتمامهم متجها نحو الإسلام والقرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺومغازيه وأحاديثه، وكان لابد لهم أن يتدارسوا اللغة العربية وآدابها وعلومها اللسانية والمجتمع العربي وامكانياته ومقوماته المادية والمعنوية والأدبية، فاغنوا المكتبة العربية والأوربية بنفائس المراجع وأمهات الكتب التي عنوا بنشرها وأشبعوها بحثاً وتحقيقاً وفهرسة وتصنيفاً، فتبع من المستشرقين طبقة من العلماء انحصرت اعمالهم في:-[١]

---

[١] ينظر: المستشرقون والحديث النبوي الشريف، بتول كاظم الطُريحي ، بحث مخطوط في كليه العلوم الإسلامية – جامعة – بغداد ، ص٩ .

١) نشر الكتب العربية.

٢) ترجمتها الى لغاتهم.

٣) التأليف عن الاداب العربية بألسنتهم.

٤) ومن المستشرقين من اقتصر عمله على أحد هذه الاقسام ومنهم من جمع بين الاثنين منها وفي استعراض للعقلية المنهجية التي تميز بها الاستشراق عموماً نجد بعضاً من الامثلة عن منهجهم في دراساتهم للأدب العربي والتاريخ الاسلامي وفي تناولهم لمسائل القرآن الكريم والحديث الشريف[١].

ولابد من التقرير بأن العلاقة بين المستشرقين والشرق كانت بصورة اساسية تأويلية فاذا وقف المستشرق الباحث امام حضارة او ثقافية ثانية لا تكاد تفهم ، قلصت الافهام عن طريق الترجمة والتصوير المتعاطف والادراك الداخلي للشيء الذي يصعب الوصول اليه وهم يلتمسون نقاط الضعف سواء من كتبنا أو من مجتمعنا والدخول الى دراسة التراث القديم أو المعاصر من خلالها، على أننا لانغبط حقوق الكثير منهم مما اضافوه للمكتبة العربية وما حققوه من التراث وما نشروه من المعاجم والكتب والفهارس التفصيلية وكان من مجموع ما امكن نشره من المؤلفات العربية

---

[١] ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية، صدر في اطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري بحث بعنوان القرآن والمستشرقون د.التهامي نقرة، ٢١/١.

القيمة بحوث المستشرقين واستنتاجهم بأن فرزت خلاصة تحقيقاتهم ومنشوراتهم الى قسمين اساسيين:-

الاول:- يتمثل بالطعن على الاسلام والاخذ بالمتناقضات من الاخبار والاحاديث الضعيفة للتقليل من قيمة الانسان العربي[١]٢.

الثاني:- ما نشروه وحققوه من التراث العربي الاسلامي الضخم في مختلف الفنون والعلوم والآداب وما ترجموه منها إلى لغاتهم وهي أكثر من أن تخص اللغة والعلوم العربية والتاريخية والطب والفُرَق والأديان ودواوين الشعراء والقصص وغير ذلك من فنون المعرفة التي اضطلعوا بجمعها وتصنيفها والتعريف **بتأشيرها** ومحققيها ككتاب المستشرقون نجيب العقيقي و تاريخ الادب العربي للمستشرق بروكلمان و تاريخ التراث العربي لفؤاد **سزكين** الى غيرها من المؤلفات والفهارس والمطبوعات العربية واثار المستشرقين[٢].

المطلب الأول:موقف المستشرقين من دراسة القرآن الكريم

لا خلاف بين المسلمين في أن القران الكريم هو كلام الله المنزل بالوحي على قلب النبي ﷺ فالله ﷻهو المتكلم به والمنشئ له كما يدل عليه

---

[١] ينظر: المستشرقون والحديث النبوي الشريف، بتول محمد كاظم، ص ١٠ وما بعدها.

[٢] ينظر: المستشرقون والحديث النبوي الشريف، بتول محمد كاظم، ص١٢.

ضمير المتكلم في مثل قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ [١].

فميزته على سائر الكتب السماوية أنه إلهي في لفظه ومعناه[٣].

وكان أول واهم عمل قام به الغربيون والمستشرقون بعد دراسة اللغة العربية وترجمتها في اديرة الرهبان وخصصوا له الوقت والجهد هو القرآن الكريم فشرعوا في ترجمة لا للاطلاع عليه والاستفاده منه فحسب كما يمكن ان يتصور الانسان بل لأجل محاربته بعد الوقوف على مضمونه، فالاستشراق كمنهج وكمحاولة فكرية لفهم الاسلام حضارة وعقيدة وتراث كان دافعه الاصيل العمل من أجل إنكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي هذه الامة والتنديد والاستخفاف بها[٢].

والواقع أنهم عندما ترجموا القران الكريم مثلاً ووضعوا له فهارس بألفاظه، ووضعوا الدراسات التي لاتحصى عنه ونشروا دائرة المعارف الاسلامية الشهيرة بلغات متعددة، نشروا الخرائط الجغرافية للبلدان العربية والاسلامية و نشروا دواوين الشعر والادب والطب والهندسة. لانهم فعلاً لم يتركو باباً الا وطرقوه ولا موضوعاً إلا وتخصصوا به **وعالجوه** وتوسعوا فيه، فالواقع أن كل ذلك وبالرغم من الخدمات الهائله التي قدموها عبر هذه الاعمال

---

[١] الإنسان: ٢٨.

[٢] ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، ، القرآن والمستشرقون، الدكتور التهامي نقرة، ١/ ٢٦ .

للمكتبة العربية وللشعوب العربية فان عملهم في الاصل كان ذا أهداف معينة ومحددة[١] .

وعلى الرغم من اطلاعنا على بعض المصادر نجد أن المستشرقين يكاد ينفقون على أن القرآن ليس من عند الله، وأن محمد ﷺ استقى مادته من الاحبار والرهبان الذين كان يتلقى عنهم المعلومات الدينية في كتب العهدين القديم والجديد.

ومن خلال هذا الاستنتاج الذي أقره المستشرقون نجد أن إنكار النبوة لمحمد ﷺ يفضي الى نتيجة واحدة هي بشرية القران الكريم، وأنه لا يوجد هناك وحي من الله وانما هو إلهام فائض من استعداد النفس العالية كما يقولون هم. فمهما بذل المستشرقون المغرضون من محاولات لتجميع والتماس التشابه بين الحقائق القرآنية والحقائق اليهودية والمسيحية يكن جهدهم ضائعاً، لان هذه المحاولات انما هي تستهدف أولاً وأخيراً، النيل من إن يكون القرآن الهي المصدر.

وسنورد أهم ما قاله المستشرقون في القرآن الكريم ومصادرة وما يوضح جهلهم بحقيقة الوحي خارج الطرق الكسبية للعلم وهذه الاقوال هي:-

١) ما قاله كبير المستشرقين كولد زيهر إذ ينسب المعرفة الدينية التي تلقاها محمد ﷺ الى عنصرين:- خارجي وداخلي فيقول فتبشير نبي العرب ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثربها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة

---

[١] ينظر: المستشرقين وترجمة القرآن الكريم، د.محمد صالح البنداق،دار الفكر ، بيروت، ص٨٩.

بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة وهذه التعاليم التي أخذها من تلك العناصر الاجنبية كانت في وجدانه ضرورية لاقرار لون من الحياة في تجاه يريده الله[١].

٢) يقول المبشر وليم جيفورد بالكراف:- متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة بعيداً عن محمدﷺ وكتابه[٢].

٣) وقال كلادستون رئيس وزراء بريطانيا عام ١٨٨٩م عندما حمل نسخة من القرآن الكريم وقال لوزرائه ما دام هذا القرآن موجود في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان[٣].

٤) وهناك ما اورده المستشرق وأورد توسدال:- شبهات الناقدين للقرآن الكريم وأتهامة في مصدره الالهي حين ذكر أبيات نسبها الى امرؤ القيس لاتخلو عن بعض التعبيرات القرآنية اذ يقول:-

دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبي ونفر

وقد رد العقاد بقوله وايسر ما يبدو من جهل هؤلاء الخاطئين في أمر اللغة العربية قبل الاسلام **وعلاقتة** بلغه القرآن الكريم، وأنهم يحسبون أن العلماء

---

[١] المستشرقين وترجمة القرآن الكريم، د.محمد صالح البنداق، ص٨٩وما بعدها.

[٢] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، بحث القرآن والمستشرقون، **د.التهامي نقرة**، ١/ ٣١.

[٣] الحركة الاستشراقية، د.رشيد العبيدي، ص٦٩.

المسلمين يجيدون في بحث تلك الابيات واحداً واحداً لينكر نسبتها الى الجاهليه[١].

٥) ومن المستشرقين من أنكر لغة القرآن وشككوا في وجود الاعراب في القرآن الكريم ومن حملة لواء هذه النظريه باول كاله اذ قال: إن النص الاصلي قد الف باحدى اللهجات المحلية التي كانت سائدة في الحجاز او التي لا يوجد فيها تلك النهايات المسماة بالاعراب وهم في ذلك يقصدون الانكار بأن لغة القرآن كانت معروفة أو موجودة في مكة على عهد النبي ﷺ[٢].

٦) ومن المستشرقين من يدعي أن القرآن الكريم فيه تناقض وتضارب وتدافع حيث يقول المستشرق تورا ندريه:- إن أفكار محمدﷺ غير متجانسة وغير منسجمة ومضطربة أشد الاضطراب ويقول في مكان آخر يبدو محمد من القرآن بصورة حالم ضال ينشر الحقيقة فيشكل آراءة ومثله استناداً الى ما يتلقاة من تعليمات تصله من غير أن يقيمها على حقائق ثابتة وحية[٣].

---

[١] الحركة الاستشراقية، د.رشيد العبيدي، ص٦٩، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، التهامي نقرة، ٣٤/١ .

[٢] المستشرقون وترجمة القرآن، د. محمد صالح البنداق، ص١٠٣.

[٣] رحلة الفكر والتراث، كتاب اصدرته جامعة بغداد في استقبال القرن الخامس عشر الهجري، للدكتور، عرفان عبد الحميد فتاح، بعنوان التراث العربي الاسلامي والاستشراق الاوربي، ص٧٣.

هذه بعض الأقوال والمزاعم التي قام بها المستشرقون في تشويه صورة القرآن الكريم ومصدره الإلهي، حتى أنهم لم يتوصلوا فيها الى تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن الكريم وقصصه، وعن شخصية الرسول العظيم ﷺ، وعن الوحي الذي نزل عليه، فيرجع سبب ذلك الى عدم تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن والى عدم ادراك هولاء المستشرقين وتعصبهم الديني القائم على العداء السياسي.

المطلب الثاني: موقف المستشرقين من دراسة السيرة النبوية

تعد السيرة النبوية من اكثر المواد التي تعرضت لدراسة المستشرقين بعد القرآن العظيم فقد كتب هؤلاء الكثير من المؤلفات التي تناولوا فيها شخصية الرسول الكريم ﷺ والطعن في سيرته غير ان هذه الكتابات لم تكن منصفة ولا موضوعية ولا علمية.

والمعلومات التي وصلت إلى الغرب عن النبي ﷺ كانت معلومات خاطئة، ليس لها أدلة وأسانيد تاريخية إنما جاءت عن مصادر غير موثوق بها، بشهادة الغربيين أنفسهم وقد كان لرجال الكنيسة الذين كانوا يخشون انتشار الإسلام في المغرب دور في تشويه صورة الرسول ﷺ ومن خلال ذلك و النيل من القرآن الكريم الذي هو أساس العقيدة الإسلامية وشريعتها، وذلك بتقديم معلومات بعيده كل البعد عن واقع الرسول ﷺ

وسيرته الطاهرة، واستمرت حملة التشويه هذه طوال العصور الوسطى وبعدها[١].

وقد صور المستشرقون نبينا ﷺ بأنه:- كاردينال[٢] منشق عن البابوية طمع في كرسيها فلما خابت آماله، ادعى النبوة، واتهموه بأنه لص، وقاتل **وزير نساء** وكافر، وساحر، ودجال، وخائن، وفاجر، وشيطان، وارهابي يشيع الموت وينشر الدمار، وداعية اباحية اتخذ من شيوع المرأة وسيلة لهدم الكنيسة اليهودية والمسيحية وفضائل الاخلاق[٣].

تنزه رسولنا ﷺ عن هذه الافتراءات الكاذبة والباطلة التي هي أقوال سلفهم من الكفار والمشركين والمنافقين، ومشركي قريش ويهود المدينة وقد رد عليهم القرآن الكريم وعلى الذين **حذو حذوهم** كما جاء في القرآن الكريم.

---

[١] ينظر: المستشرقون والقرآن الكريم، محمد بهاء الدين حسين، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٤٢٥.

[٢] **الكاردينال**ج. كرادلة هو مركز رسمي لأسقف مسؤول في الكنيسة الكاثوليكية، وهو عضو مجمع الكرادلة وفي الكوريا الرومانية، ويعتبر "أمير" في الكنيسة. ويتم تعيين الكرادلة من قِبل البابا. يتولى الكرادلة مهمة انتخاب البابا القادم في حال وفاة البابا لكن يستثنى من هذا الانتخاب الكرادلة الذين يبلغون من العمر ثمانين عاماً أو أكثر.
الكاردينال هو رجل دين مهمته انتخاب البابا أو ان ينتخب بابا. عدد الكرادلة الذين ينتخبون البابا ١٢٠ اما عدد الكرادلة الحاليين ٢١٠.

[٣] ينظر: رحلة الفكر والتراث، بحث التراث العربي الاسلامي والاستشراق الاوربي، د.عرفان عبد الحميد، ص٦٥وما بعدها.

١) قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ [١].

٢) قوله تعالى: ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾ [٢].

٣) قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [٣].

٤) قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [٤].

ونذكر أهم المواقف التي وقفها المستشرقون من السيرة النبوية:-

١) يقول كولد زيهر في كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام بأن النبي ﷺ قد جاء بمزيج من المعارف والأراء الدينية التي وصلت اليه من طريق اتصاله بالعناصر اليهوديه والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رأها جديرة بأن توقظ في بني **فومه** عاطفه دينية صادقة، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الاجنبية كانت في وجدانه ضرورية لاقرار لون من الحياه في اتجاه يريده الله، لقد تأثر بهذه الافكار تأثراً وصل الى

---

[١] ص: ٤.

[٢] القمر: ٢٥ – ٢٦.

[٣] الحجر: ٦ .

[٤] الأنعام: ٧.

أعماق نفسه وادركها بايحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً الهياً[١]

٢) ويعزف على النغمة نفسها التي قام بها زميله السابق كولد زيهر فيرجع الى ما ورد في مفاهيم على لسان النبي محمدﷺ وتضمنها القرآن الكريم الى:-

أ- أصول يهودية ومسيحية ولاسيما القصص القرآني.

ب- التأثير المسيحي في القصص المكية التي وردت في القرآن.

ج- العلاقات المستمرة بين مؤسسي الإسلام والفقراء المسيحيين في مكة[٢] .

٣) ويقول المسيوكيمون في كتابة فستولوجيا الاسلام:- إن السياسة المحمدية جذام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مروع بشكل عام وجنون ذهني يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن معاقرة الخمور ويجمع في القبائح. ويقول أيضاً ما قبر محمد ﷺ في مكة إلا عمود كهرباء يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجؤهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع الهستريا والذهول العقلي وتكرار لفظه الله – الله الى ما لا نهاية، وتعود عادات تنقلب الى

---

[١] الحركة الاستشراقية، د. رشيد العبيدي، ص٦٦.

[٢] الحركة الاستشراقية، د.رشيد العبيدي، ص٦١.

طباع اصلية ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في الملذات[١] .

٤) ويقول المستشرق الفرنسي كارادي فو: ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معروفه سيئة فلا تكاد توجد فظاظة إلا ونسبوها اليه[٢].

٥) وقال برنارد لويس عن السيرة النبوية بأنها: لا يعرف إلا القليل عن نسب محمد واوائل حياته بل أن هذا القليل قد اخذ يتناقص شيئاً فشيئاً كلما تقدم البحث الاوربي واثار شبهة اخرى حول المادة المضمنة في الأخبار الإسلامية[٣].

هذه بعض المواقف السيئه التي رمت الى تشويه سيرة رسولنا العظيم محمد ﷺ في نظر الغربيين الحاقدين على إسلامنا ورسولنا وتراثنا إذ نسوا له الفاظ من الشتم والسب وهذا الذي ذكرناه جزء قليل لان هناك الكثير من المواقف التي ذكرها هؤلاء ولكن لضيق موضوع البحث لم نذكر إلا القليل منها إذ مارسها رجال دين من قلب الكنيسة النصرانية فضلا عن بعض

---

[١] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية،١/ ٣٦، المستشرقون والسيرة النبوية، د.عماد الدين خليل، **دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق، بيروت، ط/١، ١٤٢٦ هـ،** ص١٢٧ وما بعدها.

[٢] **الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، المؤلف: فالح بن محمد بن فالح الصغير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص١٣٢.**

[٣] رحلة الفكر والتراث، التراث العربي الاسلامي والاستشراق الاوربي، د.عرفان عبد الحميد، ص ٧٢ وما بعدها .

الرجال العلمانيين الذين ليس لهم علاقة بالكنيسة وقد استمر هذا التيار الى عصرنا الرهان وذلك لما لكنه هؤلاء من حقد دفين للقضاء على الدين والمسلمين وذلك تشويه صورة قرآننا وسيرة رسولناﷺ للطعن في اهم مصادر الاسلام لانهم لم يستطيعوا الانتصار علينا إلا عن طريق هذين المنهجين ولن يستطيعوا باذن الله سبحانه وتعالى لان الله ناصر دينه ولو كره الكافرون. وقد اعتمد هؤلاء المستشرقين على نشر الاحاديث الضعيفة، وعدم الامانه في النقل، ونشرهم معلومات ضعيفة تساعد على اشاعة الفرقة والاختلاف بين المسلمين، واختراع الاسباب للحواث من غير **سند سوى التخيل** والحكم عليها من دون دليل مما يزيد في افساد اسلوبهم، فقد مكروا والله خير الماكرين.

المطلب الثالث: موقف المستشرقين من دراسة التراث الإسلامي

التراث هو كل ما هو حاضر فينا او معنا من الماضي سواء من ماضينا او ماضي غيرنا، القريب منه او البعيد، وتراث الامة الإسلامية تراث أصيل حافل بكل معاني الإنسانية لأنه يستمد مجده من القرآن الكريم والسنة النبوية وعلماء الامة الافذاد.

وقد عُني المستشرقون بتاريخ الإسلام، وبعده، ونظروا في التراث والتقطوا من خلالهما نقاطاً شكليه، يؤولون ظاهرها بما يتفق وخطة الدس والتخريب وبث التشكيك، فيما للأمة من تراث عظيم وتاريخ جليل حافل باعمال خالدة، تدل على سيرة صالحة، ومجد عريق وأصالة في المنهج والفكر وقد خلطوا الاوراق في كل ذلك، فكانوا من جهة ينشرون كتب التاريخ والسير ليوحوا للشرقيين أنهم **معنيون** بالعلوم والآثار والحضارات

الإنسانية ويحرفون الكثير من النصوص، ويشوهون جملة من الحقائق ويدسون الكثير، ويقسرون ما يريدون تفسيره من أجل اظهار التناقضات التي يريدون من خلالها خلق وهما بوجود تناقض او تعارض فيما خلفتة الحضارة أو ما جاء به كتاب الإسلام القرآن الكريم ولإعطاء صورة على مثل هذه التفسيرات، أنهم يذهبون الى أن الإسلام قد انتشر بالسيف وأنه استخدم القوه العدوانية ضد البشر، يقول روكلي برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد انواع التعصب، وقد وضع محمد ﷺ السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ...[١].

وقد تكونت في أوربا عن الإسلام ونبيه والعرب وحضارتهم وتراثهم خلال فترة الحروب الصليبية والقرون التي سبقتها صور وملامح مشوهة وبشعة املاها الحقد المقيت والجهل الفضيع بالإسلام وأصوله وعقائده وتاريخة.

١) صوّروا القرآن الكريم أنه كتاب يتناقض بعضه بعضاً وغير منسجم في أفكاره وغير منظم فيما يحويه وكل ما فيه يخالف العقل ويعوق الفكر.

٢) قالوا عن الإسلام بأنه فرع **مشتق** أصوله من المسيحية واليهودية تلقاها الرسول ﷺ عن أساتذته أحبار اليهود ورهبان النصارى وقساوستهم، وفرقه منشقة عن الكنيسة.

---

[١] ينظر: الحركة الاستشراقية، د.رشيد العبيدي، ص٤٢ .

٣) وقالوا عن الرسول ﷺ بأنه **كاردينال** منشق عن البابوية طمع في كرسيها فلما خابت آماله، ادعى النبوة، ولص وقاتل الى غير ذلك من الشتائم والافتراءات[١].

٤) أما ما يخص اللغة العربية فقد وصفوها بأوصاف وآراء فاسدة وهي:- وصف لغة القرآن بالضعف والجمود، ووصفوها بالتعقيد وصعوبة النطق، ووصف كتابتها ورسم حروفها بالتعقيد، وكثرة الاشكال، وعجز العربية عن اداء مهماتها ازاء الحضارات والتقدم العلمي والتقني وتسمية المخترعات الحديثه، والالات والاجهزة[٢].

وقد تناول المستشرقون كل ما يخص تراث الامة العربية لا لغرض خدمة العرب والمسلمين وإنما هو الحقد الدفين الذي يكنه هولاء للإسلام والامة وذلك لانه يتعارض مع حضارتهم ودينهم مما جعلهم يدسون السم في العسل كما يقال لطمس معالم القرآن الكريم وسنة رسولنا ﷺ ودفن حضارة العرب والمسلمين.

---

[١] ينظر : رحلة في الفكر والتراث بحث للدكتور عرفان عبد الحميد التراث العربي والاستشراق الاوربي ص ٦٥ – ٧٠ .

[٢] الحركة الاستشراقية، الدكتور رشيد العبيدي، ص٩٤.

الخلاصة

بعد هذهِ الجولة العلمية في موضوع الاستشراق لا بد لنا من خلاصة نسجل فيها ابرز النتائج التي توصل اليها البحث.

١) اشارات الدراسة الى أن الاستشراق هو الجناح الفكري للاستعمار الحديث الذي يمثل عقلية الغرب وحساسيته تجاه الشرق لاسيما العرب والإسلام.

٢) دلت الدراسة على أن البحث الاستشراقي لم يكن نزيهاً ولا موضوعياً، لأنه لايبحث عن صحة الأدلة في دراسته، بل يعتمد على الأدلة الموضوعة والضعيفة والمشوشة التي تثيرها بعض الفرق الباطنية التي عجزت عن مواجهة الاسلام في السيف وبدأت تثير الشكوك والمطاعن من الداخل والتي اعتمد عليها المستشرقون فيما بعد في توجيه التهم والشبهات الى الاسلام دون تمحيص لهذه الادلة.

٣) نبهت الدراسة الى مخاطر الحركة الاستشراقية والتبشيرية التي نجحت في القرنين التاسع عشر والعشرين من تكوين اجيال مشوهة الفكر وضعيفة الايمان وقليلة الاهتمام بالدين واصوله وحرفهم عن التفكير بحضارته.

٤) أوضحت الدراسه ضرورة التنبه الى الاساليب الخبيثه لليهود والنصارى والعاملون على شاكلتهم من تشوية لشعائر الاسلام الصحيح والمظاهر العبادية في نظر المسلمين، امام الشعوب الأوربيه التي تجهل الكثير الكثير من المعتقدات الاسلامية.

٥) العمل على انشاء جيل مربى على اساس العقيدة الاسلامية من المثقفين والواعين يأخذون على عاتقهم دحض شبهات المستشرقين، ورفع العراقيل من طريق الاسلام لتسهيل عمليه أنتشاره في اوربا.

٦) بينت الدراسة أن الاستشراق لم يكن وليد الصدفة وانما جاء بسبب الاحتكاك والحروب الصليبية التي جاءت بوحي من الكنيسة للانتقاص من تعاليم الاسلام واهدار قيمه حرصاً على مذهب الكثلكة، وتعويضاً للهزائم الصليبية على مر العصور الاسلامية.

٧) كما اشارت الدراسة الى أهم أهداف الاستشراق وهو إنهاء دور الاسلام الذي خطى على دور الكنيسة والطوائف الدينية لدى الغرب.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. اثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية عرض وتحليل، أمجد يونس عبد مرزوك، اطروحه دكتوراه مقدمه الى كلية الاداب الجامعة العراقية، ٢٠١٢، بأشراف محمد طالب مدلول.
٢. الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والتفريط، د. يوسف القرضاوي، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ١٤١٤هـ .
٣. الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨ .
٤. الأحاديث المختارة، ضياء الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن الحنبلي المقدسي ت ٦٤٣هـ تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ط/٤، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٥. الأحكام في أصول الأحكام ، على بن محمد الأسدي ، تحقيق عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ط١، ١٤٢٤ هـ.
٦. الأحكام في أصول الأحكام، علي بن حزم الأندلسي، دار الحديث، القاهرة، ط/١، ١٤٠٤هـ .
٧. إحياء علوم الدين، أبو حاد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت٥٠٥هـ دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٥٨م.

٨. اراء جولد تسيهر في القرآن الكريم وعلومه، عمر زهير علي، رسالة ماجستير مقدمه الى كلية الاداب الجامعة العراقية، بأشراف الدكتور علاء صالح قدوري، ٢٠١٠م.
٩. الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابورى ت٤٧٥هـ ، تحيقق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
١٠. أزمة الفكر الحديث، د. محمد عمارة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م .
١١. الأزمة الفكرية المعاصرة، د. طه جابر العلواني، الدار العالمية للنشر، الرياض، ط١، ١٩٩٥م.
١٢. الاستشراق التكوين الوسائل والاهداف، الدكتور رعد شمس الدين الكيلاني، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦م.
١٣. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي، الرياض، ط١ ١٩٨٣م.
١٤. الاستشراق قراءة نقدية، د.صلاح الجابري، دار الاوائل – دمشق،٢٠٠٩م.
١٥. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، قطر، ط١ ١٩٨٣م.

١٦. الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، دار البيان، الكويت، ط١ سنه١٩٦٨م.
١٧. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ادوار سعيد، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع _ القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٨. الإسلام دين المستقبل، دي جارودي روجيه، ترجمة: عبد الحميد بارودي، دار الايمان – القاهرة، ط٢، دار البحوث العلمية، ١٩٨١م.
١٩. الإسلام في الفكر الأوربي، الدكتور ألبرت حوراني، الدار الأهلية للنشر _ بيروت، ١٩٩٤م.
٢٠. الإسلام لعصرنا ، د. جعفر شيخ إدريس، كتاب المنتدى الإسلامي، الرياض، مجلة البيان، العدد ٨٠ لسنة ١٤٢٢هـ .
٢١. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ابو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٢٢. الأصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين أبو الفضل الكناني العسقلاني، الشهير بابن الحجر ت٨٥٢هـ ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩م.
٢٣. الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، د. محمد رأفت سعيد، إصدار كلية الشريعة، بالرياض، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م .

٢٤. أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ .
٢٥. اصول الفقه في نسيجه الجديد ، د. مصطفى ابراهيم الزلمي وطبع في شركة الخنساء للطباعة المحدودة ، بغداد ط٥، ١٩٩٩م.
٢٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن مختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ .
٢٧. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٣٢هـ .
٢٨. اعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م .
٢٩. الأعمال الكاملة، للإمام محمد عبده، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، بيروت، ط١، ١٩٧٢م .
٣٠. الانحراف في الفكر الإسلامي، جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام، بريطانيا، ١٤١٢هـ .

٣١. بحوث في التربية الإسلامية، سعيد اسماعيل علي الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط١، ١٩٩٩م .
٣٢. بحوث في التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، مركز التنمية البشرية والمعلومات، القاهرة، ١٩٨٧م.
٣٣. البدع والنهي عنها ، أبو عبد الله محمد بن وضاح ت ٢٨٦هـ تحقيق: محمد احمد دهمان، دار البصائر، دمسق، ط٢، ١٩٨٠ .
٣٤. بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لتنظيم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م .
٣٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: ١٢٠٥ هـ، تحقيق: مصطفى حجازي، د.ت .
٣٦. تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري، أبو جعفر ت٣١٠هـ ، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ
٣٧. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار الجامعة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤م .

٣٨. تاريخ الفلسفة العربية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م

٣٩. تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا، يوسف جبرا، مطبعه الشباب١٩٢٩م.

٤٠. تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، كتاب البيان، رقم ٦٠ سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٥هـ .

٤١. تجديد الدين ، مفهومه، وضوابطه، واثاره، د. محمد حسانين حسن حسانين، بحث مقدم للدورة الثالثة، كلية المعلمين، مكة المكرمة، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٤٢. تجديد الدين، مفهومه وضوابطه، وآثاره، د. محمد عبد العزيز بن أحمد العلي، دار كنوز اشبيليا، الرياض،/ ط١، ١٤٣٠هـ .

٤٣. تجديد الفكر الإسلامي، د. محسن عبد الحميد، دار الصحوة، عمان، ١٩٨٥م .

٤٤. تجديد الفكر الإسلامي، د. محسن عبد المجيد، هيرفون، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩٦م .

٤٥. تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، دار الشروق، بيروت .

٤٦. تحفة الأحدوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العليمة، بيروت د.ت .

٤٧. تراثنا بين ماضي وحاضر، عائشة بنت الشاطئ، معهد البحوث والدراسات، ١٩٨٦م.

٤٨. التربية الغائبة ، علي عبد الحميد محمود ، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م .

٤٩. تطور الفكر التربوي، فيصل الراوي رفاعي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م.

٥٠. التعريفات، السيد الشريف أبي الحسين علي بن محمد بن على الزين الحسيني الجرصافي ت٨١٦هـ ، دار الكتب العالمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٥١. تفسير البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي ت٧٤٥هـ ، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٥٢. تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط٤، ١٣٧٣هـ .

٥٣. تفسير القرآن الكريم تفسير ابن كثير، عماد الذين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ تحقيق:

سامي بن محمد بن سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط/٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٥٤. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبدالله فخر الدين ت ٦٠٤هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٨١م .

٥٥. تقريب التهذيب، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق ، أبو الاشبال قرن المائة د.ط، د.ت .

٥٦. التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، عبدالرحيم بن الحسن أبو محد الأسنوي، تحقيق: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٠هـ .

٥٧. جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، ت٣١٠هـ ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٥٨. الجامع الصحيح صحيح البخاري . محمد بن الخليل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ت ٢٥٦ هـ تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار الفكر بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .

٥٩. الجامع الصغير من احاديث البشير النذيرﷺ ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/١ ١٤١٠هـ- ١٩٩٠.
٦٠. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبدالله النمري القرطبي، بن عبدالبر، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط/١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .
٦١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي ت ٦٧١هـ، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط/١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٦٢. حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة، حاشية ابن عابدين، محمد ابن عمر بن عابدين ت ١٢٥٢هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ .
٦٣. الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ .
٦٤. الحركة الاستشراقيه ‘ مراميها وأغراضها، أ.د. رشيد العبيدي، مطبعة أنوار دجله، ٢٠٠٣م.

٦٥. حسن الترابي وفساد نظرية تطوير الدين، عبد الفتاح محجوب ابراهيم بيت الحكمة، القاهرة، ط/١، ١٩٩٥م .
٦٦. حقيقة الفكر الإسلامي، أبو زيد عبد الرحمن، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
٦٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، إبراهيم أحمد عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٤، ١٤٠٥هـ .
٦٨. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
٦٩. الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٣، ١٩٨٦م.
٧٠. خصائص الفكر الإسلامي، محمد عبد اللطيف الفرفور، دار الأوزاعي، دمشق، د.ت .
٧١. دراسات في الفكر الإسلامي، محمد حسين عبد الله، دار البيارق، بيروت، ط١، ١٩٩٠م .
٧٢. دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، عبد الحميد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩٢م .
٧٣. رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، محمد الشاهد، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

٧٤. رحلة الفكر والتراث، كتاب اصدرته جامعة بغداد في استقبال القرن الخامس عشر الهجري، للدكتور، عرفان عبد الحميد فتاح، بعنوان التراث العربي الاسلامي والاستشراق الاوربي.
٧٥. الرخص الشرعية وأحكامها وضوابطها، وهبة الزحيلي، دار الخير، دمشق ، بيروت، ١٤١٣هـ .
٧٦. رسالة في أصول الفقه، أبو علي الحسن بن شهاب الحسن العكبري الحنبلي، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ .
٧٧. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٧هـ .
٧٨. الرسالة في علم الأصول، الإمام محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠هـ _ ٢٠٤هـ ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٨هـ .
٧٩. رسائل الجاحظ رسالة المعاش والمعاد ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ت٢٥٥هـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
٨٠. رسائل في التوحيد ، الملحة في اعتقاد أهل الحق :عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، المعروف ب العزيز عبد

السلام ت ٦٦٠هـ ، تحقيق: اياد خالدا لطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ .

٨١. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، سلسله تصدر عن مجلة البيان، المنتدى الاسلامي، د.ت.

٨٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م .

٨٣. سنن ابن ماجه، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزوي، ت٢٧٣هـ دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م .

٨٤. سنن أبي داوود،، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الازدي السجستاني ت ٢٧٥ هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، دار الرسالة العالمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م .

٨٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الترمذي السلمي، ت٢٧٩هـ ، تحقيق: أحمد شاكر، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د،ت .

٨٦. سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد سبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ .

٨٧. السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٨٨. السنن الكبرى : سنن البيهقي احمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤.
٨٩. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ - ٢٠٠١م .
٩٠. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ٧٤٨هـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط/٢، ١٤١٣هـ .
٩١. السيرة النبوية سيرة ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعامري ت٢١٣هـ ، المكنبة التوفيقية، مصر، ١٩٧٨م.
٩٢. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد اللطيف عبد الشافي محمد، دار السلام _ القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
٩٣. شرح القواعد الفقهية ، أحمد بن محمد الزرقا صححه وعلق عليه مصطفى احمد الزرقا ،دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٤٠٩هـ .
٩٤. شرح المحلى على مجمع الجوامع ، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين الأنصاري المحلي ت

٨٦٤هـ، مطبعة دار إحياء الكتب الدينية، عيسى البابي، القاهرة، د.ط، د.ت

٩٥. شرف أصحاب الحديث، احمد بن عبد المجيد بن علي ثابت الخطيب البغدادي، أبو بكر ت ٤٦٣هـ تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي، نشر جامعة انقرة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م .

٩٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجبولوي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

٩٧. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي ت٣٥٤هـ، ترتيب: علي بن بلبان بن عبدالله علاء الدين الفارسي المنعوت بالأمير ت٧٣٩هـ مؤسسة الرسالة، بيروت د.ت .

٩٨. صحيح الفقيه والمتفقه، أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت٤٦٣هـ تحقيق: عادل يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

٩٩. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت د – ط ، د – ت .

١٠٠. صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف، وزارة الأوقاف والشؤون العلمية، الكويت، ط/٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
١٠١. ضعيف الترغيب والترهيب الترغيب والترهيب للمنذري :عبد الحليم بن عبد القوي المنذري زكي الدين محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
١٠٢. العقل والعلم في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م .
١٠٣. علاقة الوحي بالعقل، عثمان قره دنيز، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، العدد ٤ لسنة ١٩٩٨.
١٠٤. العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم ، محمد بن ابراهيم بن الوزير اليماني ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢.
١٠٥. عون: المعبود شرح سنن أبي داوود، شرف الحق العظيم آبادمي، دار الفكر ، بيروت، ط/٣، ١٩٧٩م .
١٠٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محي الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ت .
١٠٧. فتح القدير الجامع بين من الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ ، دار الفكر ، بيروت، د.ت.

١٠٨. الفتوح، احمد بن محمد بن علي بن اعثم الكوفي، ت ٣١٤هـ، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء _ بيروت، ط١ سنه ١٩٩١م.
١٠٩. الفروق أو إقرار البروقاني أنواع الفروق، أبو العباس أحمد بن إدريس، الصنهاجي القرافي ت٦٨٤هـ ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ .
١١٠. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، حورية تاغلايت أطروحة دكتوراه مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، سنة ٢٠٠٧_٢٠٠٨م .
١١١. فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١٠، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
١١٢. الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، محمد المبارك ، دار الفكر بيروت، ط ٢ ، ١٩٧٠م .
١١٣. الفكر الإسلامي بين العقل والوعي وأثره في مستقبل الإسلام، د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق بيوت، ط/١، ١٤٠٢ هـ .
١١٤. الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده، د. محسن عبد الحميد، دار الأنبار، بغداد، ط١، ١٩٨٧م .

١١٥. الفكر الإسلامي في تطوره، محمد البهي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م .
١١٦. الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي، مصطفى حلمي، دار الدعوة، ط١، ١٩٨٨م .
١١٧. الفكر الإسلامي، د. محمد الصادق العفيفي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت .

١١٨. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، الدكتور احمد سما يلو فتش، دار الفكر – القاهره، ١٩٩٨م.
١١٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، محمد عبد الرؤوف المناوي ت ١٠٣١هـ دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٤م .

١٢٠. القاموس السياسي، أحمد عطت الله، دار النهضة العربية _ القاهره، ط٣، د.ت.
١٢١. القاموس السياسي، تأليف: ب.ن بونوماريون، ترجمة وإعداد: عبد الرزاق الصافي، مركز الطباعه الحديثة – بيروت.
١٢٢. القاموس المحيط، مجد الدين ابن طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي ت٨١٧هـ تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٢٣. قضايا التحديد في الفكر الإسلامي، د. حسن عبد الله الترابي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، ط٢، ١٩٩٥م .
١٢٤. قواعد التحديث من فنون مصلح الحديث ، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤.
١٢٥. الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني ت ٣٦٥هـ تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد محفوض، دار الكتب العلمية بيروت د.ت .
١٢٦. كتاب العين، أبو عبدالحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار المعرفة.
١٢٧. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن التهاوني، تحقيق: رفيق العجم، علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٢٨. كيف نفهم الإسلام، محمد الغزالي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط٣، ١٩٩٢م.
١٢٩. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ت: ٧١١ هـ، دار صادر _ بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م .

١٣٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، دار صادر، بيروت، د.ت.
١٣١. ليس من الإسلام، ًمحمد الغزالي، دار القلم، بيروت، ط١ ، ١٩٩٧م .
١٣٢. مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢ م
١٣٣. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى: ٣٠٣هـ ،تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ،مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ .
١٣٤. مجددون لا مبددون، الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح ، تطوير النشر والتوزيع القاهرة، ١٤٢٦هـ.
١٣٥. مجلة الاستشراق، العدد الأول لسنة ١٩٨٧، بحث الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د.مصطفى السباعي .
١٣٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي أبو بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ .

١٣٧. محاضرات في الفكر الإسلامي، د. عقيد خالد العزاوي، د. ياسر خلف الشجيري، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٢م .
١٣٨. مختار الصماع، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١، ١٩٦٧م .
١٣٩. مختصر منتهى السؤل والامل في عالمي الأصول والجدل ، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بأبي الحاجب تحقيق د. نزيه عماد، دار ابن حزم ط ١ ، ١٤٢٧ هـ .
١٤٠. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت .
١٤١. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الحاكم النيسابوري تحقيق: مقبل هادي الوادعي، دار الحرمين ، الرياض، ط/١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .
١٤٢. المستشرقون والاسلام، حسين الهروي، مطبعة المنار- القاهره،١٩٣٦م.
١٤٣. المستشرقون والحديث النبوي الشريف، بتول كاظم الطُريحي ، بحث مخطوط في كليه العلوم الإسلامية – جامعة – بغداد.

١٤٤. المستشرقون والقرآن الكريم، محمد بهاء الدين حسين، رسالة دكتوراه .
١٤٥. المستشرقون وترجمة القرآن، د. محمد صالح البنداق .
١٤٦. مسلم الثبوت ، محب الله بن عبد الشكور البهاري ، مطبعة كردستان العلمية ، ١٩٠٧ م.
١٤٧. مصادر الدراسه الأدبية، يوسف أسعد داغر، المطبعة المخلصية، ط٢، ١٩٦١م.
١٤٨. مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرفون، فرجينيا، الولايات المتحدة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
١٤٩. مصطلح الفكر الإسلامي، أحمد حسن فرحات، بحث ضمن ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية معهد الدراسات المصطلحية، كلية الآداب، ظهر المهراز، ط١، ١٩٩٩م،
١٥٠. معالم المنهج الإسلامي، د. محمد عمارة، دار مصر، ط١، د.ت .
١٥١. معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط/١٦، ١٤١٣هـ .

١٥٢. المعجم الأوسط، ابو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق عبد عوض الله بن محمد عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط/١، ١٤١٥هـ .
١٥٣. المعجم الفلسطيني، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م .
١٥٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط/٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .
١٥٥. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت د. ط. و.ت .
١٥٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية استانبول، تركيا .
١٥٧. المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، د. ت.
١٥٨. مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن الأندلسي الحرالي، ت٦٣٨هـ ، منشورات المركز العالمي للبحث العلمي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

١٥٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن ابي شاكر بن قيم الجزرية، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤١٩هـ-١٩٨٠م.
١٦٠. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني أبو القاسم ت٦٤٣هـ ، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.
١٦١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب المعروف ب الراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض د- ط ، د -ت.
١٦٢. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط/٦، ٢٠٠٥م .
١٦٣. مفهوم تجديد الدين في الفكر الاسلامي، محمد مراح، مجلة القافلة العدد/٣، المجلد /٤٨ لسنة ١٩٩٩م، ادارة العلاقات العامة في ارامكو السعودية .
١٦٤. مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير ، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
١٦٥. المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٨٥ .

١٦٦. مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
١٦٧. مقدمات في سبيل مشروعنا الحضاري، جمال سلطان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ .
١٦٨. مكارم الأخلاق ، عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، الرياض د . ت .
١٦٩. من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م .
١٧٠. مناقب البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، أبو بكر ت ٤٥٨ هـ تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار التراث مصر ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م.
١٧١. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية، صدر في اطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري بحث بعنوان القرآن والمستشرقون د.التهامي نقرة .
١٧٢. مناهج المستشرقين، الدكتور سعدون الساموك، بغداد، ١٩٨٥م.

١٧٣. المنهاج شرح صحيح، مسلم بن حجاج، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ت٦٧٦هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ،
١٧٤. منهج التجديد في الفكر الإسلامي، د. فاروق النبهان، مطبوع ضمن أعمال ندوة تجديد الفكر الإسلامي المنظمة من قبل مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، للفترة ٤_٥ شعبان ١٤٠٧هـ، ٣_٤ أبريل ١٩٨٧م .
١٧٥. منهج المدرسة العقلية في التفسير، د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤، ١٤١٤هـ .
١٧٦. الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، المالكي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفاف، الرياض د.ت .
١٧٧. موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبل النهوض بهم، أبو الأعلى المردودي ت ١٩٧٩ دار الفكر ، بيروت، ط٣، ، ١٩٦٨م .
١٧٨. الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ط / ٤ ،١٤١٤هـ.
١٧٩. الموسوعة الفلسطينية، نخبة من الباحثين السوفيات، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة بيروت، ط٦، ١٩٨٧م.

١٨٠. موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم، رياض عدنان العبيدي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م .
١٨١. نتاج المستشرقين وأثرهم في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار البيان، القاهرة، د.ت.
١٨٢. النزعة العقلية عند الإمام الشافعي، محمد إبراهيم الفيومي، منشورات جامعة الأزهر.
١٨٣. نصب الراية لأحاديث الهداية، عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي ت ٧٩٢هـ ، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط/ ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٨٤. نظرية التجديد في الفكر الإسلامي، د. عبد الكريم زيدان، دار الفكر ، بيروت، ط١ د.ت .
١٨٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي ت٨٨٥هـ ، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، د.ط ، د.ت .
١٨٦. نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، الدكتور ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت،٢٠٠٢م.

١٨٧. الوجيز في أصول الفقه ، د. عبد الكريم زيدان ، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ط ١ ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م.
١٨٨. وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، بحث منشور في مجلة دراسات رئوية، جامعة الخرطوم، السودان، العدد ١٦، يونيو ٢٠٠٨م .